الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

الزمن في القرآن الكريم بين الصيغة الصرفية و السياق النحوي
ـ من خلال نماذج قرآنية ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية.
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالب:

زبير روينة

إشراف الدكتور:

الأمين ملاّوي

السنة الجامعية: 1436هـ/ 1437هـ
2015م /2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

من استقراء النحاة اللغة العربية خلصوا إلى تحديد مقولات صُنّفت ضمن المقولات الصرفية النحوية، منها: النوع، والعدد، والزمن. هذا الأخير الذي عبرت عنه العربية بوسائل لغوية معينة ضمن التقسيم الثلاثي للكلم العربي، فقد سلكت العربية منهجا في التعبير عن الزمن، فحاول النحاة أن يتوصلوا إلى ذلك عبر تجريد قواعد متحكمة فيه بنية وتركيبا، إلاّ أنهم درسوه في ضوء المعايير التي حكّموها في الدراسة النحوية.

وتكمن أهمية الزمن في ارتباطه بالأحداث اللغوية، ولاسيما إذا كان ذلك في القرآن الكريم، و نظرا لأهميته في الدرس اللغوي جاء البحث موسوما بـــــــــــــ " الزمن في القرآن الكريم بين الصيغة الصرفية و السياق النحوي من خلال نماذج قرآنية ".

ويرجع السبب في اختيار الموضوع إلى إرادة التعرف أكثر على أسلوب القرآن الكريم المعجز الذي حير النحاة القدامى و المحدثين، وكذلك الإفادة من التراث العربي القديم و الآراء اللغوية الحديثة في دراسة الجانب الزمني للصيغ الفعلية .

وقد انطلق البحث من جملة تساؤلات منها:

- هل تستطيع الصيغة الصرفية الكشف عن الزمن ؟

- ما الدور الذي يلعبه السياق في تحديد زمن الصيغة ؟

- فيم تكمن أهمية الوحدات اللغوية المجاورة للصيغة في تحديد زمنها ؟

كل هذه التساؤلات تدور في فلك الإشكالية الرئيسية المتمثلة في:" هل ربْط النحاة الزمن اللغوي بالصيغة يوافق عليه السياق القرآني."

وللإجابة على هذا الإشكال جاء البحث مقسما إلى ثلاثة فصول تتقدمها مقدمة وتتلوها خاتمة على الشكل الآتي :

عُنون الفصل الأول بـــــــــــ " التصور الزمني عند النحاة القدامى و الباحثين المحدثين "، حيث تطرق إلى تحديد مصطلح الزمن والزمان، إذ رأى كيف ساوى بينهما النحاة القدامى في حين فرقهما الباحثين المحدثين، ومن ثمّ تحدث عن نظر كل منهما للزمن، و كيف أن المحدثين عابوا على القدامى النظرة الفلسفية في ربط الزمن بالصيغة.

وخُصص الفصل الثاني الموسوم بـــــــــ " الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية الإفرادية " لدراسة الصيغ و دلالاتها الزمنية الأصلية والفرعية، وهذا من خلال ثلاثة مباحث جاءت على النحو الآتي: عقد المبحث الأول للتعبير عن الزمن بصيغة الفعل الماضي بواسطة صيغة (فعل) مجردة وما تدل عليه من دلالة زمنية أصلية بالوضع، وأخرى فرعية تستقى من السياق القرآني. وبنفس الطريقة مع المبحث الثاني الذي اختص بالتعبير عن الزمن بصيغة الفعل المضارع وكذالك الحال مع المبحث الثالث الذي جاء للتعبير عن الزمن بصيغة فعل الأمر.

أمّا الفصل الثالث المُعنون بـــــــ" الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المركبة " فجاء في مبحثين:

الأول للدلالة الزمنية للتركيب: ناسخ مع فعل، إذ رأينا كيف يؤثر الناسخ على الصيغة المجاورة له، ويخلص زمنها إلى زمن خاص يفصح عنه التركيب بطرفيه .

أمّا الثاني فدرس التركيب: أداة مع فعل، ورأى أن للأدوات القدرة على قلب زمن الفعل المقترنة به.

وختم البحث بخاتمة تم فيها جمع أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على منهج وصفي تحليلي، أي عرض الظاهرة النحوية ومن ثم تحليلها من خلال أمثلة قرآنية تبرز دور السياق في تحديد زمن الصيغة.

ولمّا كان البحث يجمع بين موضوع قديم ونظر حديث، اقتضى الاعتماد على كتب من التراث :كالكتاب لسيبويه، وشرح الكافية للإستراباذي، وهمع الهوامع للسيوطي... وكتب حديثة أبرزها: معاني النحو لفاضل صالح السامُرائي، واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عظيمة... بالإضافة إلى بعض التفاسير تم الرجوع إليها لفهم الزمن السياقي للشواهد القرآنية، نذكر منها: الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور...

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أبرزها صعوبة تحديد زمن الصيغة في النص القرآني لأنه يختلف عن المدونات الأخرى، وكذلك صعوبة التعامل مع الكتب التراثية التي لم تفرد للزمن بابا مستقلا بل جاء مفرقا في أبواب كثيرة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ المشرف الأمين ملاوي على ما قدمه لنا من نصح وتوجيه طيلة فترات البحث.

الفصل الأول

التصور الزمني في نظر النحاة القدامى و الباحثين المحدثين

أولا: الزمن و الزمان

ثانيا: الزمن في نظر النحاة القدامى

ثالثا: الزمن في نظر الباحثين المحدثين

ارتبط مفهوم الزمن في تصور الإنسان منذ مراحل الحياة الإنسانية الأولى بعالم المتغيرات الذي يحيط به و يعايشه، فعندما تأمل في هذا الكون الفسيح وجد فيه ظواهر طبيعية دائمة الوجود و التغير، من مثل: رعد، برق، سحب، أمطار...الخ، و أخرى ثابتة لا تتغير من مثل: سماء، كواكب، نجوم، قمر، شمس...

فلما نظر في الكون وجد فيه العديد من الكواكب التي تدور باستمرار بسبب حركة الأفلاك المرتبطة بها، فينجر عنها تعاقب الليل و النهار و تشكل الفصول و الشهور و الأيام و غيرها و يتجلى ذلك في قوله تعالى:(لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾) (يس40/36)

فقد جاء في تفسير هذه الآية للفخر الرازي (604ه):" (...) فقوله (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴿٤٠﴾). إشارة إلى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنةٍ وقوله (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴿٤٠﴾) إشارة إلى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق إلى المشرق مرة أخرى في يوم و ليلة. "[1]

فخلاصة القول ـــ هنا ـــــ إن الزمان في القديم كان مرتبطا بمقدار حركة الفلك، و غير بعيد من هذه النظرة يرى أفلاطون أن الزمان مخلوق مع خلق الأجسام السماوية و حركاتها(...) و هذا باعتباره عين حركة الفلك، أو باعتبار أنه هو الفلك نفسه فعند أفلاطون النموذج أو الله ليس في زمان بل في مدة و دهر، هو

[1] الرازي (فخر الدين)، التفسير الكبير، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط1، 1401ه-1981م، 73/26.

حضور دائم لا علاقة له بماض و مستقبل، أما العالم المتحرك فله زمان فيه ماض و حاضر و مستقبل والنتيجة هي أن معنى الزمان عند أفلاطون ـــــ و ليس الدهر و مدة ما ليس في زمان ـــــ يتصل بالمتحركات، و هذه لها بداية في الصنع (كمصنوعات) و بالتالي فالزمن له بداية و بدايته مع العالم.[2]

و من خلال حضور فكرة الزمن في الكون و الفلسفة و ارتباطها بها ولجت فكرة الزمن إلى اللغة من قبيل أن النحاة القدامى لما نظروا إلى المدونات اللغوية من قرآن كريم و حديث نبوي شريف و كلام العرب شعرا ونثرا و أمعنوا فيها الاستقراء، و من ثم استنبطوا القواعد، فوجدوا الكلام في العربية ينقسم إلى اسم و فعل و حرف، فحددوا ضوابط لكل مبنى صرفي منها ووضعوا محددات تميز كل قسم عمّا عداه من أقسام الكلم فخصوا الفعل بدلالته على الحدث؛ فكان الزمن من مقوماته، إذ قسموا الفعل بحسب زمن الصيغة إلى ماض و مضارع و أمر عند نحاة البصرة، أما نحاة الكوفة فجعلوه ماضيا و مضارعا و دائما، و هذا استنادا لحركة الفلك إذ يتضح ذلك جليا عند ابن يعيش (643ه) إذ يقول:" لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، و الزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده و تنعدم عند عدمه انقسمت بانقسام الزمان، و لما كان الزمان ثلاثة ماض و حاضر ومستقبل و ذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت و منها حركة لم تأت بعد و منها حركة بين الماضية و الآتية كانت الأفعال كذلك ماض و مستقبل و حاضر."[3]

---

[2] ينظر: حسام الآلوسي، الزمان في الفكر الديني و الفلسفي و فلسفة العلم، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص100- 105.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، تح: حواشي نفيسة ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ط)،(د ت)،4/7.

و انطلاقا من قول ابن يعيش نستنتج أنه هو و من ينح منحاه من النحاة القدامى عند ربطهم زمن صيغة الفعل بحركة الفلك كان منهجهم فلسفيا في تحليل المادة اللغوية و هذا بالاستناد إلى ما ذهب إليه الفلاسفة و علماء الفلك.

و انطلاقا من ترابط المفهوم اللغوي بالاصطلاحي نحاول بيان مفهوم الزمن في المعاجم العربية.

أولا: الزمن و الزمان

1-الزمن لغة:

جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(175ه):" الزّمن: من الزّمان و الزّمِن ذو الزّمانة، و الفعل زمن يزمُن زمنا و زمانة، والجمع الزّمني في الذكرو الأنثى. و أزمن الشيء: طال عليه الزمان."[4]

أما ابن منظور(711ه) فيقول في لسان العرب :" الزمن و الزمان، اسم لقليل الوقت و كثيره، و في المحكم، الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة(....) والزمان يقع على الفصل من فصول السنة و على مدة ولاية الرجل."[5]

وجاء أيضا في القاموس المحيط للفيروزآبادي (817ه) :" الزمن محركة(...) العصر(...)، و جمعه أزمان وأزمنة و أزمن."[6]

---

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 195/2.

[5] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1956، 199/17.

2 – اصطلاحا:

جاء في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري(395ه):" الفرق بين الزمان و الوقت: أن الزمان أوقات متوالية مختلفة أو غير مختلفة، و الوقت واحد، و هو المقدر بالحركة الواحدة من حركات الفلك وهو يجري من الزمان مجرى الجزء من الجسم، و الشاهد أيضا أنه يقال: زمان قصير و زمان طويل و لا يقل وقت قصير".[7]

يرى أبو هلال العسكري أن الوقت بعض من الزمان، و هو مرتبط بالحركة الواحدة من حركات الفلك، إذ الزمان ينجرُ عن مجموع حركات الفلك، فيعطي حركة ماضية و حركة لم تأت بعد و أخرى تفصل بينهما.

و كما يقول الجرجاني في كتاب التعريفات(816ه):" الزمان هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، و عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم، يقدّر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: (آتيك عند طلوع الشمس) فإن طلوع الشمس معلوم، و مجيئه موهوم فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام."[8]

و مما سبق نخلص إلى أن الزمن (أو الزمان) ليس له مدلول واحد يتقيد به؛ حيث يتضح معناه في كونه يدل على عدة معان، بمعنى أنه يختلف استعماله عند الحكماء و كذا المتكلمين و حتى الأصوليين؛ فالزمان عند الحكماء ماض و مستقبل و ليس

---

[6] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص1203.

[7] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ص 270–271.

[8] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة،مصر، (دط)، 2004، ص99.

للحاضر وجود، في مقابل المتكلمين الذين يرون أنه لا وجود له، أما الأصوليون فيفصلونه عن الفعل الذي لا تزيد دلالته عن نسبة الحدث إلى فاعله.[9]

و الذي يهمنا في بحثنا هذا ليس الزمن الفلسفي الذي يعد قياسا لكمية رياضية و يعبر عنه بالتقويم و الأخبار عن الساعة (...)؛ إذ لا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة و لا في تحديد معنى الصيغ في السياق، و لا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي و هذا ما أورده تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها و مبناها، إذ نلحظ أنه فرّق بين الزمان الذي ربطه بالزمن الفلسفي المقدر عنده بالدقائق و الساعات و العصور و الحقب (...) و بين الزمن النحوي الوظيفي، الذي يظهر من خلال أنه وظيفة السياق تحددها الضمائر و القرائن، هذا من جهة، و من جهة أخرى، أرجع زمن الصيغة إلى وظيفتها منفردة عن التركيب.[10]

و في سياق متصل لا ضير أن نورد الفرق بين الزمن الفعلي و ظروف الزمان، إذ للأول وظيفة في السياق يؤديها الفعل و غيره من أقسام الكلم الأخرى، أما ظرف الزمان فيفيد الاقتران بين حدثين، و كلا المعنيين في الفعل و الظرف وظيفي، و لكنّ الفرق بينهما يكمن في إفادة الاقتران و عدمه. [11] و بعبارة أخرى ظرف الزمان يستعمل للربط بين حدثين اثنين أو أكثر في مثل قولنا: انتهت المحاضرة وقت أذان الظهر أي أن انتهاء المحاضرة تزامن مع دخول وقت صلاة الظهر، وأدى الظرف "وقت" عملية الربط بين الحدثين.

---

[9] بكري عبدالكريم، الزمن في القرآن الكريم، دار الفجر، القاهرة ، مصر، ط2، 1999،ص31.

[10] ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1999، ص242.

[11] المرجع نفسه، ص240.

أما الزمن النحوي المتعلق بزمن الفعل و ما شابهه، فإنه متضمن فيه لا في اقترانه بغيره نحو: كتب الأستاذ الدرس، في هذا المثال زمن الكتابة يفهم من خلال صيغة الفعل ـــــــــ كتب ـــــــــ التي تدل على المُضي مع وظيفة هذه الصيغة في السياق ليفهم المقصود من التركيب ككل و يحسن السكوت عن الجملة لتمام المعنى.

و تتضح أهمية الزمان في الدرس النحوي من خلال علاقته بالفعل (الصيغة)، فهي الأساس الذي يعتمد عليه النحاة القدامى في تقسيمهم الفعل، إذ بها يعبر عن الزمن في العربية و يقسم الفعل إلى ماض و حاضر و مستقبل.

ثانيا: الزمن في نظر النحاة القدامى:

بعد أن نظر النحاة القدامى إلى كلام العرب وجدوه لا يعدو أن يخرج على ثلاثة أقسام: الفعل و الاسم و الحرف؛ فقاموا بوضع ضوابط لكل قسم منها و علامات تفرز بعضها عن بعض، فكان للفعل أن خُص بالدلالة على الحدث، و كان الزمن أحد مقوماته الأساسية؛ إذ جعلوه معيار التقسيم للأفعال الثلاثة و ما تشتمل عليه من دلالات زمنية في النظام الصرفي دون النظام النحوي التركيبي، فهذا سيبويه (180ه) يستند إلى الزمن في تعريفه للفعل، إذ يقول: " و أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء و بنيت لما مضى، و لما يكون و لم يقع، و ما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذهب و سمع و مكُث و حُمد، و أما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب و اُقتل و اِضرب. و مخبرا: يقتل، يذهب، يضرب، يُقتل و يُضرب. و كذلك بناء ما لم ينقطع و هو كائن إذا أخبرت."[12]

فعند التدقيق في هذا التعريف نجد أن سيبويه قد رد اشتقاق الفعل إلى المصدر و اسم الحدث، ورد حُكمه الإعرابي إلى البناء، و من ثم قام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام مستندا إلى الزمن في ذلك، فمنها ما مضى(الماضي) و منها ما هو كائن لم ينقطع (الحاضر) و منها ما لم يقع (المستقبل).

و الملاحظ كذلك هنا في تعريف سيبويه للفعل أنه ربط الزمن بالصيغة، فجعل صيغة الماضي(فَعل) و صيغة المضارع (يفعَل) و صيغة الأمر (اِفعل)، بيد أن الدلالة

[12] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988،12/1.

الزمنية لهذه الصيغ قد تتغير عند ولوجها في سياق ما، أو عند اتصالها بقرائن لفظية معينة إذ سيبويه هنا تحدث عن الزمن الصرفي المتعلق بالصيغة.

و في سياق متصل نجد سيبويه تكلم عن الدلالة الزمنية لاسم الفاعل و ربطها بالتنوين و هذا في " باب من اسم الفاعل [الذي] جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في يفعلُ كان نكرة منونا " و ذلك قولك: هذا ضارب زيدا غدا، فمعناه و عمله مثل هذا يضرِب زيدا (غدا) فإذا حدّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك.[13]

ففي عنوان هذا الباب يُحمل اسم الفاعل على الفعل المضارع، و هذا في أمرين هما: العمل و المعنى؛ فأما العمل فهو نصب المفعول به، و أما المعنى فيقصد به زمن المضارع الدال على الحال و الاستقبال، ووضع شرطا لتوافق هذا التشابه، و هو أن يكون اسم الفاعل نكرة منونا، و هذا الشرط يحيلنا إلى ما ذهب إليه السيوطي(911ه) عند تفريقه بين اسم الفاعل العامل و غير العامل، و هذا بوجود فارق في الدلالة الزمنية بينهما، و يتضح ذلك جليا فيما نقله عن الكسائي؛ الذي اجتمع مع أبي يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فكان من هارون الرشيد أن بيّن لأبي يوسف القاضي الفرق بين اسم الفاعل الدال على المضي متوافقا مع الاسمية، لتثبت الصفة في الفاعل و هذا عندما يكون مضافا غير منون، نحو: أنا قاتلُ غلامِك، فالقتل هنا تم في الزمن الماضي و ثبتت جريمة القتل على القاتل، و أما اسم الفاعل الدال على الحال أو الاستقبال فهو عامل عمل الفعل المضارع مقترب من الفعلية أكثر منه إلى الاسمية، و

[13] سيبويه، الكتاب، 164/1.

هذا عندما يكون منونا نحو أنا قاتلٌ غلامَك، ففي هذا المثال اسم الفاعل هنا عامل يدل على زمن الحال أو الاستقبال فالجريمة لم تقع بعد.[14]

و الخلاصة مما سبق، اسم الفاعل المضاف يدل على المُضي و اسم الفاعل المنون يدل على الحال أو الاستقبال.

و في موضع آخر يبرز لنا اهتمام سيبويه بالزمن، عندما أشار إلى الزمن الحالي الذي تعبر عنه الضمة و الزمن الاستقبالي الذي تعبر عنه الفتحة و هذا في قوله: " و تقول إذا حدثت بالحديث: إذن أظنه فاعلا و إذن أخالك كاذبا و ذلك لأنك تخبر أنك تلك الساعة في حال ظن و خيْلة (...) ولو قلت إذن أظنَك، تريد أن تخبره أن ظنك سيقع لنصبت، و كذلك إذن يضربَك، إذا أخبرت أنه في حال ضرْبٍ لم ينقطع." [15]

بمعنى أن الفعل إذا كان واقعا في زمن الحال، يكون الرفع ملازما له، و الأدوات الداخلة عليه لا عمل لها، في حين أن النصب يحيله إلى زمن الاستقبال، والأدوات الداخلة عليه عاملة فيه.

و قد قال الفراء (207ه) عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأنبياء:(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴿٣٥﴾) (الأنبياء 35/21) و لو نُونت في ذائقة و نصبت الموت لكان صوابا و أكثر ما تختار العرب التنوين، و النصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة، فأما المستقبل فقولك أنا صائمٌ يوم الخميس إذا كان خميسا

---

[14] ينظر، السيوطي، الأشباه و النظائر، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، (دط)، 1985, 3/222-223.

[15] سيبويه،الكتاب، 16/3

مستقبلا، فإن أخبرت عن صوم يوم خميسٍ ماض قلت : أنا صائمُ يوم الخميس فهذا أوجب العمل.[16]

و الملاحظ هنا أن الفراء يذهب مذهب الكسائي و غيره، في كون اسم الفاعل العامل يأتي منونا بحيث ينصب الاسم الذي بعده، في حين أن اسم الفاعل غير العامل يأتي نكرة غير منون فيعمل الجر في الاسم الذي يليه.

أما ابن يعيش فحد الفعل عنده "ما دل على اقتران حدث بزمان، و من ثم عدّد مجموعة من خصائصه كدخول: قد و السين و سوف و الجوازم و تاء التأنيث و غيرها." [17]

و في موضع آخر تكلم عن أقسام الفعل إذ يقول: " (...) انقسمت بانقسام الزمان و لما كان الزمان ثلاثة: ماض و حاضر و مستقبل، و ذلك من قبيل أن الأزمنة حركات الفلك فمنها حركة مضت، و منها حركة لم تأت بعد، و منها حركة تفصل بين الماضية و الآتية كانت الأفعال كذلك ماض و مستقبل و حاضر. فالماضي ما عُدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده، و هو المراد بقوله اقتران حدث بزمان قبل زمانك (...).[18]

لقد استند ابن يعيش إلى العقل عندما أراد تقسيم الفعل إلى ماض و حاضر و مستقبل؛ حيث وضع أقسام الزمان الفلسفي أساسا لذلك، فالفعل ثلاثة أقسام لأن أقسام الزمان

---

[16] الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، (د ط)، (د ت)، 202/2.

[17] ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، 2/7.

[18] المصدر نفسه، 4/7.

ثلاثة: حركة مضت و حركة لم تأت بعد، و حركة تفصل بين الماضية و الآتية، و كأنه يريد أن يربط كل قسم من أقسام الأفعال بقسم من أقسام الزمان.[19]

وضع ابن يعيش هذا التقسيم استنادا لحركة الفلك، إذ جعله محل نقد لدى الدارسين المحدثين لأنه على حد قول إبراهيم السامرائي لا ينهج نهجا لغويا فكأنه أراد أن يفلسف المسألة اللغوية، و هي لا علاقة لها بهذا النظر العلمي، و كأن النحوي لم يرد استقراء العربية لمعرفة إعراب الفعل عن الزمان، بل إنه اهتدى إلى هذه الناحية من تأمله في الزمان الفلكي.[20]

و في نفس الصدد عندما نمعن النظر فيما ذهب إليه النحاة القدامى نراهم يقولون بالتقسيم الثلاثي لأزمنة الفعل، و يتضح ذلك جليا في مصنفاتهم القديمة، إذ لكل منهم وجهة نظر في هذا التقسيم، لكن عند التدقيق أكثر نجد هناك تقسيمات ثنائية ليست بالكثيرة و المتمثلة بالأخص عند الزجاجي (340ه) الذي أنكر زمن الحال في كتابه " الإيضاح في علل النحو" و هذا عندما عرّف الفعل بأنه ما دل على حدث و زمان ماض، أو مستقبل نحو: قام، يقوم، و قعد، يقعد و ما أشبه ذلك.[21]

فكأنه ـــــــ هنا ـــــــ رفض تقسيم الأفعال إلى ثلاثة أزمنة ماض و حاضر و مستقبل، إذ جعلها ماض و مستقبل، فأدمج الحال في المستقبل. تبرير الزجاجي فلسفي، ففعل الحال دال في

---

[19] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص113.

[20] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص17.

[21] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1974، ص52.

الحقيقة على المستقبل و كل جزء خرج منه دخل في حيز الماضي، و يستحيل القبض على الحال.[22]

و يبرز ذلك جليا في قوله:" أن الفعل في الحقيقة ضربان ماض و مستقبل(...)؛ المستقبل ما لم يقع بعد، و لا أتى عليه زمان، و الماضي ما تقضّي، و أتى عليه زمانان لا أقل من ذلك زمان وجد فيه، و زمان خُبر فيه عنه، أما فعل الحال فهو في الحقيقة مستقبل، لأنه يكون أولا، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المُضيّ؛ لذلك جاء فعل الحال بلفظ المستقبل مثل: زيد يقوم الآن، و يقوم غدا، وعندما تُخلصه للمستقبل تدخل عليه السين و سوف، فهنا جعل التقسيم ثنائي، و لكنه في موضع آخر في كتاب الجمل يقول: " الأفعال الثلاثة فعل ماض و فعل المستقبل و فعل في الحال يسمى الدائم؛ فالماضي ما حسن فيه أمس(...)، و المستقبل ما حسن فيه غدا(...) و أما فعل الحال فلا فرق بينه و بين المستقبل في اللفظ، كقولك: زيد يقوم الآن و يقوم غدا(...).[23]

فالزجاجي في الجمل على حد قوله في التعريف الأخير، إن الفعل ثلاثة أقسام: ماض و مستقبل و فعل دائم، فقد أخرج هنا فعل الأمر و لم يعده من أقسام الفعل مخالفا أصحابه البصريين أمثال سيبويه، الذي جعله قسيما للماضي و المضارع، و تجدر الإشارة هنا أن الزجاجي استخدم مصطلح الفعل الدائم الخاص بالكوفيين، لكنه

---

[22] محمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص32.

[23] الزجاجي، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1404ه- 1984، ص8.

قصره على على الحال، في حين أنه يُستخدم عندهم بصيغة اسم الفاعل و اسم المفعول، فكأن الزجاجي في الإيضاح غيره في الجمل (...). [24]

و منه نخلص إلى أن النحاة القدامى و إن لم يفردوا للزمن بابا مستقلا بذاته، إلا أنهم تطرقوا إليه؛ ففصّلوا فيه القول و تحدثوا عن تعريفه اللغوي و حتى الاصطلاحي، و من ثم ربطوه بتقسيم الأفعال و حركة الفلك، و هذا ما نلحظه في مؤلفاتهم القديمة، بالإضافة إلى أنهم لم ينسوا زمن اسم الفاعل و المصدر، و كذا دور الحركة الإعرابية، فكان لهم أن سهّلوا الطريق، و أناروه لمن جاء من بعدهم.

[24] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص17.

ثالثا: الزمن في نظر الباحثين المحدثين

بعد أن تطرقنا إلى نظرة النحاة القدامى للزمن ، و رأينا رأي بعض منهم فيه، و ربطه في أحيان كثيرة بتقسيم الفعل، و هذا كله مبثوث في كتبهم و مصنفاتهم القديمة، نُنوه بعد ذلك إلى خطوة تالية ألا و هي الزمن في نظر الباحثين المحدثين و رأيهم فيما قال به النحاة القدامى.

و بادئ ذي بدء نستهل بالباحث اللغوي تمام حسان، إذ يرى أن الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نُقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم، كالمصادر و الخوالف، و الزمن بهذا المعنى يختلف عما يفهم منه في الصرف إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق، فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفا بالحدث، و لا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزمن . [25]

و يقول في موضع آخر :" (...) و هذا الزمن الذي تدل عليه الصيغة عند الإفراد زمن صرفي، لأن الصيغة بمفردها مفهوم صرفي بحت. أما عندما توضع هذه الصيغة في سياق الجملة فإن هذا الزمن الصرفي يجري تجاهله و ينشأ في بيئته زمن آخر نحوي لا يتحتم أن يطابقه. [26]

[25] ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص242.

[26] تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص61.

فالزمن عند تمام حسان زمانان: زمن صرفي و آخر نحوي؛ فالأول موضوعه الصرف الذي هو نظام المباني و الصيغ، يكون الزمن الصرفي قاصرا على معنى الصيغة يبدأ و ينتهي بها، و لا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق.[27]

أما الثاني فموضوعه النحو و يُستقي من خلال وظيفة السياق، التي تحددها الضمائم و القرائن على حد تعبيره.

و يتضح الزمن الصرفي أكثر عندما رَسم أنواعه على النحو الآتي:

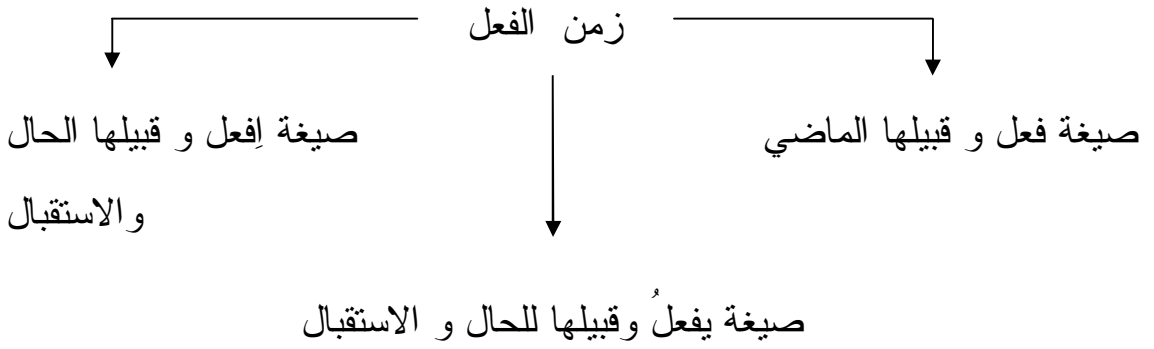

لقد عاب تمام حسان على النحاة القدامى نظرتهم الجزئية غير الشاملة المتمثلة على حد قوله في استعمالات الأبنية الفعلية المحدودة داخل السياق، و هذا ما أدى إلى انحصار دلالاتها ضمن إطار ضيق داخل و خارج السياق، و ذلك بقوله: " فلما نسب النحاة المُضي دائما إلى صيغة "فَعل" و قبيلها و نسبوا الحال أو الاستقبال دائما إلى صيغتي "يفعل" أو" افعل" و قبيلهما نظروا في الجملة الخبرية المثبتة و المؤكدة فلم يجدوا هذه الدلالات الزمنية تتأثر تأثرا كبيرا بعلاقاتها في السياق. و لكنهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المنفي قد يدل على المُضي، و حين نظروا إلى الجملة

[27] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها،، ص242.

الإنشائية وجدوا صيغة فعل تفيد الاستقبال في التحضيض و الدعاء و الشرط مثلا (...). [28]

و من ثم تساءل عن عدم إعطاء أن الشرطية التي تحوّل صيغة "فعل" إلى معنى الاستقبال معنا خاصا بها يتمثل في قلب الزمن من المُضي إلى الاستقبال، و هذا كما فعلوا مع "لم" إذ بحسب رأيه لما رأوا في الجملة الإنشائية وجدوا أن الدلالة الزمنية تتغير بحسب السياق التي وضعت فيه فلما رجعوا إلى قواعدهم وجدوها مناقضة لذلك فعزت عليهم أنفسهم أن يعيدوا النظرة فيها فردوا تلك الاختلافات الزمنية إلى الأدوات لكنهم لم يشملوها كلها. و يثبت ذلك قوله:" و لعل هذا هو ما غرر بالنحاة فلم يُعنوْا برصد الفروق الزمنية الدقيقة إلا في أضيق الحدود." [29]

بالإضافة إلى مأخذ آخر آخذهم عليه، و هو خلطهم بين الزمن اللغوي و الزمن الفلسفي (العقلي، الفلكي)؛ الذين أسقطوه على الفعل و صيغه، فقسموه ـــــــ أي الفعل ـــــــ بحسب تلك التقسيمات العقلية و ربطوا صيغة " فَعل " بالمُضي و " يفعل" و " افعل " بالزمن الحالي أو الاستقبالي و حصروهم فيها مما ضيقوا على أنفسهم فوقعوا في مطيات عملهم، فاختلط عليهم الأمر.

أما مهدي المخزومي فقد تحدث عن الزمن النحوي من خلال مبحث سماه " الصيغ الزمنية في العربية " و هذا في كتابه:" في النحو العربي نقد و توجيه " معرفا إياه بكونه صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة، ترتبط ارتباطا كليا

---

[28] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص232.

[29] المرجع نفسه، ص 248.

بالعلاقات الزمنية عند المتكلم، أو بغيرها من الأحداث التي تقاربها في الموقع. [30] يفهم من تعريف مهدي المخزومي للزمن النحوي أن دلالته مفتوحة و غير مقتصرة على صيغة واحدة فقط؛ إذ و على سبيل المثال نجد أن بناء " فعل " يدل على دلالات مختلفة، كانت دلالة على وقوع الحدث في الماضي واحدة منها لا غير، و أرجع تعدد المجالات الزمنية و دلالاتها إلى ارتباطها بالعلاقات الزمنية عند المتكلم.

و يستند في هذا التعريف إلى "وليام رايت " الذي يرى أن القدماء قسّموا الفعل بصيغه بحسب أقسام الزمن، و خصصوا كل فعل بزمن معين، و أن للعلاقات الزمنية دور في تحديد المجال الزمني للأفعال و ذلك عندما أورد قوله :" إنّ الماضي السامي أو المضارع السامي ليس له في حد ذاته أية صلة بالعلاقات الزمنية عند المتكلم (أو المفكر أو الكاتب) كما أنه ليس له صلة بغيره من الأحداث التي تقاربه في الموقع. إنّ هذه العلاقات نفسها هي التي تحدد المجال الزمني الذي يقع فيه الفعل التام و غير التام في السامية (سواء أ كان ذلك الزمن ماضيا أم حاضرا أم مستقبلا...) [31]

و لما نظر مهدي المخزومي في قول المستشرق (وليام رايت) خلُص إلى أمرين: أحدهما؛ أن النحاة لو يعيروا دلالة الفعل على الزمن ما ينبغي أن تعار، و الأمر الآخر أن الفعل العربي القديم لا توجد لديه سوى صيغتيْ (فعل) و (يفعل) البسيطتين في مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة العربية، شأنه شأن الإنجليزية في ذلك، ومن ثم قامت باستحداث صور جديدة مثل: ما فعل، لما يفعلُ، كان يفعل، كان قد يفعل(...) [32]

---

[30] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص147.

[31] المرجع نفسه، ص146.

[32] ينظر، المرجع نفسه، ص 146-148 .

و لم يكن مهدي مخزومي إلا كسابقه تمام حسان، إذ أخذ على النحاة منحاهم الفلسفي الذي حال بينهم و بين أن يستخرجوا دلالات زمنية للفعل غير التي اتخذوها بالإضافة إلى أنّ نظرتهم كانت مركزة على الناحية الصرفية للزمن، و ذاك جلي في قوله:" فالنحاة كانوا يدركون ما للفعل من دلالة على الزمان، و لكن منحاهم الفلسفي باعد بينهم و بين أن يستخلصوا دلالة الزمن من واقعه في الاستعمالات المختلفة(...)." [33]

و إبراهيم السامرائي بدوره لم يسْلم النحاة القدامى من نقده، إذ أخذ عليهم اهتمامهم بالفعل من حيث كونه عاملا بل أقوى العوامل و أهملوا الدلالة الزمنية، بالإضافة لذلك أنهم لم يقفوا وقفات طويلة لصيغة (فعل و يفعل) ليروا كيف تتصرف إلى حدود أخرى تعرب عن الخصوصيات الزمانية. [34]

لكن من الإنصاف أن ننوه إلى ما ذكره من ثناء على النحاة القدامى، و هذا عندما عبروا على الزمن بصيغ متعددة و هذا عندما قال: " وعلى هذا فليس صحيحا أن نكرر ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من أن الزمان ليس شيئا أصيلا، و أن اقتران الفعل العربي به حديث النشأة. و نستدل من البحث في تاريخ النحو على أن الأقدمين فصلوا القول في هذا و أنهم استفادوا الاستدلال على الزمان من صيغ عدة." [35]

و قد نبّه إلى ما أشار إليه النحويون من دور للأدوات و ما تقوم به من تغيير الوجهة الزمنية للفعل مثل: السين، سوف، لن، لم...

---

[33] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص152.

[34] ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص18.

[35] المرجع نفسه، ص 23.

كما أشاروا أيضا إلى مجموعة من الظروف نحو: إذا، إذ (...). و نوه على أمر آخر أثنى فيه على النحاة القدامى ألا و هو صنيعهم الجليل الذي قاموا به عند تقسيم الزمن الصرفي حيث اعترف بوجوده عندما قال: " على أننا يجب أن نشير إشارة عامة إلى أن الفعل ثلاثة: ماض و حال و مستقبل. و أننا نستطيع أن نقرر أن صيغة (فَعل) و إن دلّت دلالات عدة في الإعراب عن الزمان فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أُنجز و تم في زمن ماض، و أن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال و الاستقبال و إن ذهب في الاستعمال مذاهب أخرى و ذلك بفضل الأدوات و الزيادات التي أشرنا إليها .[36]

أما عن إبراهيم أنيس فقد انتقد النحاة القدامى عندما ربطوا صيغة الماضي بالأحداث الماضية و صيغة المضارع بالأفعال و الأحداث المستقبلة التي لم تقع و هذا في قوله: " و لا شك أن ربط الصيغة بزمن معين، يحملنا في اللغة العربية على كثير من التكلف و التعسف في فهم أساليبها، و من الواجب أن نفصل بينهما و أن ندرس أساليب الصيغ المستقلة عن الزمن، دراسة لغوية لا منطقية، لندرك ما فيها من جمال و حسن."[37]

هذا من جهة و من جهة ثانية عندما ندقق النظر في كتابه نجد أنه يورد عدة آراء يثني فيها على النحاة العرب القدامى، و هذا عندما رد على المستشرقين الذين يظنون أن اللغة العربية لا تمتلك سوى صيغتين أو ثلاثة للتعبير عن الزمن بل على حد قوله أن تلك الأساليب العربية تعبر عن عدة أزمنة.

---

[36]إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص 24.

[37] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978، ص172.

و بالإضافة إلى هذا كله، نوه على استعمالهم للأدوات و ما تقوم به من التعبير عن أزمنة مختلفة مثل: السين، قد، ما، لم... كما أشار إلى رأي العلماء العرب من تغاير الصيغ و عدم اشتمالها على زمن محدد و هذا بحسب السياق التي ترد فيه و هذا عندما قال:" و يقرر علماء البلاغة أن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي إنما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه. و يمثلون ذلك بقوله تعالى:(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴿٦٨﴾) (الزمر 39 /68) أي:يُصعقوا. "[38]

و كان موقف مالك يوسف المطلبي من تناول النحاة القدامى للزمن أكثر ليونة من تمام حسان و مهدي المخزومي و غيرهما؛ إذ أثنى عليهم و هذا لما قدموه من عمل جليل يسير عليه من جاء بعدهم، إذ وصف نقد هؤلاء لهم بالقسوة حين قال:" تلك هي العناصر التي انبنى عليها النقد الذي وجّه البحث اللغوي المعاصر إلى النحاة القدماء في موضوع الزمن، و هو نقد اتسم أحيانا بطابع قاس، من مثل أن النحاة " لم يكترثوا للناحية الزمنية أو لم يعنوا برصد الفروق الزمنية بل إنهم نُعتوا عند آخرين بالبعد عن الإدراك و الخلط فيما يتصل من بحوثهم بموضوع الزمن (...) [39]

إذ نلاحظ هنا أن المطلبي قد نادى بضرورة إعادة النظر في أعمال القدماء و ما قاموا به من محاولات في موضوع الجهة الزمنية أمثال سيبويه و السيوطي و غيرهما. و كذلك توزيعات الصيغ الصرفية مصرحا بذلك قائلا: " و هكذا يكون النحاة قد أعادوا النظر في توزيعات الصيع الصرفية على الزمن الثلاثي فصارت هذه الصيغ تشير في

---

[38] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، 173.

[39] مالك يوسف المطلبي، الزمن و اللغة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1986، ص94.

السياق إلى أقسام زمنية أخرى، و إلى توزيعات زمنية في القسم الواحد، و ذلك مظهر من مظاهر

التفصيلات النحوية الشاملة في إطار منهج محدود." [40]

لكن المطلبي لما أعاد النظر كما قال و تدبر في محتوى أعمال القدامى خرج بنتيجة ألا و هي، أن المنهج الذي اتبعوه في دراسة الزمن اتسم بالازدواجية إذ يتضح ذلك أكثر في خضم كلامه إذ يقول:" إن المنهج النحوي القديم اتسم بما يمكن تسميته (الازدواجية الزمنية) التي نشأت بسبب من إلصاق الزمن بالصيغ الفعلية خارج الاستعمال و ما يلحق تلك الصيغ من انحراف في الدلالة على الزمن أثناء الاستعمال الأمر الذي اضطر معه أصحاب ذلك المنهج إلى أن يتأولوا من النص الصحيح ما ليس بحاجة إلى تأويل أو تخريج." [41]

إذ هذا القول الأخير نقله المطلبي عن إبراهيم أنيس إضافة إلى نقاط أخرى عرضها لنا، إذ بعدها خرج بخلاصة من هذه النقاط و هي: أن النحاة القدامى جرّدوا اللغة في أحيان كثيرة من منطقها و أخضعوها لمنطق عقلي مجرد.

و قوله أيضا: و لو أنهم لم يلصقوا بالبناء الفعلي دلالة زمنية حتى يدخل السياق لكانوا تفادوا الاضطراب المنهجي الذي وقعوا فيه. كما أخذ عنهم صدورهم عن قرينة الإعراب صدورا كليا. و قد كان لهذه النزعة صدى قوي في موضوع لم يستقل بباب نحوي بل تغرق في ثنايا الأبواب كجزم المضارع و نصبه و النواسخ... الخ. [42]

---

[40] مالك يوسف المطلبي، الزمن و اللغة ،ص99.

[41] المرجع نفسه ، ص 92.

[42] المرجع نفسه، ص 95- 96 .

و في نهاية الأمر عندما نتمعن في وجهة نظر مالك يوسف المطلبي نجدها تنشطر إلى شطرين:

الشطر الأول قام فيه بالرد عن من بالغ في نقد النحاة القدامى ووصفِهم قد خلطوا موضوع الزمن بعدة مواضيع و لم يكترثوا له بعدم إعطائه الأهمية اللازمة إذ نجده رد على هؤلاء النقاد بذكر أعمال النحاة العرب الجليلة و ما لها من أهمية بالغة في مجال الدرس اللغوي.

مع هذا كله نجده قد بين لنا في الشطر الثاني من نظرته لهم و التي أوردها في كتابه حيث قام بتبيين بعض المآخذ التي وقعوا فيها و التي بيناها آنفا.

و في سياق متصل بالموضوع نقول أن آراء المستشرقين التي تنص على أن اللغة العربية فقيرة من ناحية الزمن الخاصة بالصيغ الزمنية في مستواها النحوي التركيبي، بالإضافة إلى أن الزمان ليس أصيلا في اللغة العربية و أن اقتران الفعل العربي به حديث النشأة،

إذ إن هذه الآراء التي قدمها هؤلاء لم تمر مرور الكرام عمّن له نخوة اتجاه اللغة العربية فقام بالرد عليهم و عن الأقاويل و الأباطيل التي يزعمونها.

و من هؤلاء نجد عباس محمود العقاد و الدكتور زكي الجابر اللذان اختصا بآرائها التي تنم عن حب للعربية و الأصالة القديمة و عما قدمه النحاة العرب القدامى من دراسات في موضوع الزمن خاصة و في الدرس اللغوي عامة .

و من ذلك ما نقله مالك يوسف المطلبي في كتابه اللغة و الزمن إذ يقول[43]:

" و تتضح المسألة بصورة أدق على يد واحد من أبرز المثقفين العرب في عصرنا هذا، و هو الأستاذ عباس محمود العقاد فهو بسبب من دفعه عن اللغة العربية ما تراءى له، نقصا أريد إلصاقه بها، يتخطى فحص بنية العربية ليقدم لنا ما يشعر به نحو تلك البنية يقول:" من قبيل هذا النقص ما نسب إلى لغتنا من نقص الدلالة على الزمن في صوره المختلفة."

و قوله أيضا رادا على المستشرقين: ربما ساغ هذا القول عن اللغة العربية في عقول المتعجلين من مصدّقيه لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت في صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها. و بين في موضع ثان: أن الزمن الماضي مهم عند أبناء البادية العربية. في كل عهد من عهوده...الخ.

و يعلل زكي الجابر عدم وضوح زمان الفعل بالظاهرة الاجتماعية إذ يقول فيما نقله عنه المطلبي:" إن دقة التعبير وليدة المجتمع الصناعي. و صورة هذا المجتمع تختلف عن صورة المجتمع الفلاحي، حيث لا يتقيد الإنسان بقيود الدقة في الزمن. " [44]

و يرد زكي الجابر هذا التغيير بقوله: " و ليس من الإنصاف تحميل التركيب العربي أوزار عدم احترام الزمن، إلا أنه يعود فيقرر : " أن فساد الواقع العربي شمل فيما شمل الاستعمال اللغوي".[45]

---

[43] مالك يوسف المطلبي، الزمن و اللغة، ص86.

[44] ينظر: مالك يوسف المطلبي، الزمن و اللغة، ص86-87.

[45] المرجع نفسه، ص87.

و في خلاصة الحديث عن الزمن في نظر الباحثين المحدثين نخرج بملاحظة مفادها أن الباحثين قد انقسموا في رؤيتهم للزمن، فمنهم من نقد النحاة القدامى نقدا شديدا و مبالغا فيه، إذا اتسم نقدهم بألفاظ كان بالإمكان الاستغناء عنها مثل : قد فشلوا، قد خلطوا أو تعسفوا أو تكلفوا...

و من هؤلاء تمام حسان و مهدي المخزومي. و صنف آخر نجد رأيه متباينا بين الذود عن النحاة القدامى بالرد على من نقدهم و ذكر مزاياهم وأعمالهم البالغة الأهمية و بين خصمهم بالنقد كذلك إذ هم بين البيْنيْن. و من الذين توسطوا الأمرين: إبراهيم أنيس و إبراهيم السامرائي و مالك يوسف المطلبي.

أما عن الصنف الأخير، فقد أعلنها صراحة و رفع راية الدفاع عن النحاة العرب إما بالرد على المستشرقين المشككين في اللغة العربية، و إما بإبراز محاسنهم و مزاياهم على الأمة العربية جمعاء.

وجِمال القول لما ورد في هذا المبحث أن النقد الشديد الذي وجهه بعض الباحثين المحدثين أمثال تمام حسان و مهدي المخزومي للنحاة القدامى مرده إلى تأثرهم بآراء

الغربيين تُجاه الزمن بالإضافة إلى ما ورد في لغاتهم كالإنجليزية و الفرنسية و غيرهما؛ إذ وصف هؤلاء، النحاة القدامى بالتقصير في معالجة الزمن و عدم إعطائه العناية اللازمة بعدم تخصيص باب مستقل له إذ جاء موضوع الزمن لديهم في أبواب متفرقة.

كما أخذوا عليهم دراسة الزمن دراسة صرفية لا نحوية، و ذلك عن طريق تخصيص كل صيغة لديهم بزمن معين فصيغة (فعل) مثلا لا تخرج لديهم عن الزمن الماضي أبدا و صيغة (يفعل) لا تخرج عن الزمن الحالي أو الاستقبالي أبدا. لكننا عندما ننظر إلى هذا النقد من جهة و إلى الوقفات الرائعة التي وقف عندها النحاة القدامى بخصوص موضوع الزمن نجد أن النقد لم يكن دقيقا بما فيه الكفاية لأننا لو تدبرنا فيما جاء به سيبويه عندما تحدث عن تفريعات زمنية مختلفة مدللا على تنوع الزمن لديه و منه –على سبيل المثال لا على سبيل الحصر–: " نفي الماضي البسيط(فعل) بـــــ (لم يفعل) و تركيب القسم(لقد فعل) بـــــ (ما فعل) في قوله: " إذا قلت (فعل) فإن نفيه (لم يفعل) و إذا قلت : (لقد فعل) فإن نفيه (ما فعل) لأنه كأنه قال: و الله لقد فعل، فقال: والله ما فعل ." [46]

بالإضافة إلى هذا ما جاء به ابن الأنباري (577ه) في مسألة وقوع الماضي حالا، عندما قال:" ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالا، و إليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين، و ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقع حالا

[46] سيبويه، الكتاب، 117/3.

و أجمعوا على أنه إذا كانت معه " قد" أو كان وصفا لمحذوف فإنه يجوز أن يقع حالا(...).[47]

وتكلم السيوطي كذلك عن وقوع الماضي في غير الدلالة الأصلية له في قوله: للماضي أربع حالات :

أحدهما: يتعين معناه للمضي، و هو الغالب ، و الثاني: أن ينصرف إلى الحال، و ذلك إذا قصد به الإنشاء، كـــ: بعْت، و اشتريت و غيرهما من ألفاظ العقود، إذ هو عبارة عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود، و الثالث: أن ينصرف الى الاستقبال و ذلك إذا اقتضى طلبا نحو : غفر الله لك (...) أو وعدا نحو:(إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١) (الكوثر 01/108) والرابع أن يحتمل الاستقبال و المضي و ذلك إذا وقع بعد همزة التسوية...[48]

وورد الفعل الماضي للدلالة على الاستقبال بدلا من الفعل المضارع كثير الاستعمال في اللغة العربية باعتراف النحاة و علماء البلاغة كذلك، لهذا قال الخطيب القزويني:

---

[47] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص212.

[48] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: ـــأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 37/1.

" التعبير عن المستقبل بلفظ المُضي تنبيها على تحقق وقوعه، و أن ما هو للوقوع كالواقع" [49]

و ما جاء في القرآن الكريم أو غيره من ماض و المعنى للاستقبال إنما هو جعل المتوقع الذي لابد من وقوعه بمنزلة الواقع و يتضح ذلك جليا في سورة النحل من قوله تعالى (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١) (النحل 01/16)

بعد أن تطرقنا إلى هذا الفصل الموسوم بالتصور الزمني في نظر النحاة القدامى و الباحثين المحدثين نكون قد خلصنا إلى النتائج التالية:

1-الزمن كان قاسما مشتركا بين عدة قضايا لغوية، من مثل أنه يفرق بين أنواع الجمل و أقسام الكلم.

2-الزمن لا يختص بباب معين، بل نجده في عدة أبواب كالنواسخ و النواصب الجوازم و في باب الشرط و كذا ظروف الزمان....

[49] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، (د ط)، 1989، 76/1.

3-ربط النحاة القدامى الزمن بالزمان في أغلب الأحيان، في حين فصل بينهما المحدثون إذ اختُص الأول بزمن الصيغة مفردة خارج السياق و داخله ضمن تركيب لغوي معين، أما الثاني فارتبط بالزمن الفلسفي القياسي .

4-النحاة القدامى و إن لم يفردوا للزمن بابا مستقلا بنفسه إلا أنه جاء و بالتفصيل في أبواب متفرقة، إذ تحدثوا عن زمن الصيغة الأصلية و زمنها الفرعي الذي تخرج عنه عند ورودها في سياق خاص و اتصالها بقرائن معينة؛ بمعنى أنهم تطرقوا للزمن النحوي.

5-انقسم الباحثون المحدثون إلى ثلاثة أقسام : قسم نقد النحاة القدامى نقدا شديدا لعدم إعطاء عنصر الزمن العناية اللازمة، و قسم تارة يثني عليهم و تارة ينقدهم لانشغالهم بمسألة العامل و الإعراب و غيرهما، و قسم ثالث أثنى عليهم أيّما ثناء.

الفصل الثاني

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية الإفرادية

أولا: التعبير عن الزمن بصيغة الفعل الماضي

ثانيا: التعبير عن الزمن بصيغة الفعل المضارع

ثالثا: التعبير عن الزمن بصيغة فعل الأمر

لقد تطرقنا في الفصل الأول إلى نظرة كل من النحاة القدامى و باحثي اللغة العربية المحدثين إلى الزمن، وخرجنا بنتيجة مفادها أن الزمن من أهم مقومات الفعل و به يُقسم من حيث المبنى الصرفي إلى ماض ومضارع و أمر، أما الزمن السياقي النحوي فيتضح من خلال موقعية الفعل في السياق، بالإضافة إلى مدى قبوله القرائن اللفظية و المعنوية والحالية.

و الملاحظ أن الباحثين المحدثين لم يكتفوا بالصيغ البسيطة بل تعدّوها إلى جهات زمنية عديدة يكون الدور الأبرز للضمائم الموجهة في تحديد جهة كل منها مثل: كان ومازال و ظل و طفق و كاد و كم الاستفهامية و إن و لم وغيرها...

و لما عقد إبراهيم أنيس مبحث" الفكرة الزمنية في اللغة " في كتابه من أسرار اللغة خرج بنتيجة وهي أن لكل لغة طريقتها في التعبير عن أزمنتها و أنه لا علاقة بين الصيغة والزمن، حيث عرض التقسيم السباعي الذي قال به الكثير من المحدثين، وهذه التقسيمات تحلل الزمن اللغوي من خلال ثلاثة معايير وهي: الزمان ــ الجهة ــ حالة الحدث.

فأما الزمن فهو ثلاثة: ماض و حاضر و مستقبل.

وأما الجهات فهي :أ- قبل الماضي، ب- الماضي، ج- بعد الماضي، د- الحاضر

ه- قبل المستقبل، و- المستقبل، ز- بعد المستقبل.

وأما الحالات فهي :1 - تام وقع وانتهى، 2- ناقص لم يتم ولم ينته. [1]

[1] ينظر، محمد عبد الرحمان الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة و النشر القاهرة، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998، ص 361. ينظر:إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص167.

والحديث عن الزمن النحوي لا يكتمل إلا بفهم مصطلح الجهة كما قال كمال رشيد: " قد بات من المتعذر الحديث عن الزمن النحوي من غير فهم لاصطلاح الجهة في الزمن، إذ لا يتحقق الزمن النحوي إلا بالجهة، لأن الزمن النحوي هو إمتزاج الزمن بالجهة." [2]

و يرى الفهري" أن الجهة أساسا مجموع سمات الحدث التي تمكن من قياسه ووصفه زمنيا فهو ممتد أو غير ممتد أو لحظي، وهو محدود أو غير محدود و هو تام و غير تام. " [3]

ويرى تمام حسان أن" الجهة تخصيص لدلالة الفعل ونحوه، إما من حيث الزمن و إما من حيث الحدث. " [4] وقد لاحظ أن اللغة العربية تتوفر على تسع جهات للماضي وثلاث للحال و أربع للاستقبال، من جهات الماضي: البعيد المنقطع (كان فعل)، القريب المنقطع (كان قد فعل) المتجدد(كان يفعل)، المنتهي بالحاضر(قد فعل)، المتصل بالحاضر (مازال يفعل)، المستمر (ظل يفعل)، البسيط(فعل)، المقارب (كاد يفعل)، الشروعي (طفق يفعل)، أما جهات الحال فهي: العادي(يفعل)، التجددي(يفعل)، الاستمراري(يفعل)، وتشمل جهات الاستقبال: البسيط(يفعل)، القريب(سيفعل)، البعيد (سوف يفعل)، الاستمراري (سيظل يفعل).[5]

ومنه فإن مصطلح الجهة يقوم بالتدقيق في زمن الأفعال، و بتحديد الجهة المناسبة لها وهذا بتضام الصيغ والأدوات ليكون تركيبا دقيقا داخل سياق معلوم، وهو سمة دالة على قوة اللغة و عبقريتها في الدلالة الزمنية لها، فالمعلومة الزمنية لا تظهر في الصيغة الفعلية فحسب

---

[2] كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، (د ط)، 1428-2008، ص 101.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1990، ص 80.

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، ص 257.

[5] المرجع نفسه، ص 245.

تتحقق على مستوى السياق العام الذي يصاحب الفعل.[6] فتأويل الزمن و تخصيص سماته يخضع لقيود وضوابط بحسب ما إذا كانت الأزمنة بسيطة أو مركبة بإلحاق أو بغير إلحاق .

أولا: التعبير عن الزمن بصيغة الفعل الماضي

1- دلالة صيغة (فعل) وما يماثلها على الزمن الماضي:

سُميت (فعل) صيغة الماضي و هذه التسمية تحيل غالبا على القيمة الزمنية وهي الماضي، وقد جعلها أغلب النحاة للدلالة على الزمن الماضي مطلقا، وذالك باعتبار الوضع و الأصالة وقد تتغير هذه الدلالة عندما تتدرج في سياق ما، أو تدخل عليها بعض عوامل التغيير كأدوات النصب و الجزم والشرط، و يطرد في العربية في مستوياتها عامة توقيت صيغة (فعل) للإشعار بارتباطها الوثيق بالسياق التاريخي.[7] كقوله تعالى:(كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴿١٢٨﴾) (طه 20 /128)، و إذا كان الزمن النحوي وظيفة في السياق فإنه يتعين النظر في هذا السياق لنكشف عن الزمن " وذلك عندما تأتي للتعبير عن مراحل زمنية مضت وانقطع أثرها كسرد أخبار الأولين أو تقرير أمر من الأمور المتعلقة بالجزاء والتشريع."[8] و من ذلك قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ (البقرة 34/2). حيث جاء في تفسير البحر المحيط قوله:" (...) و قيل هي معطوفة على ما قبلها يعني قوله (وإذ قال ربك) ويضعّف الأول بأن الأسماء لا تزاد والثاني أنها لازمة ظرفيتها والثالث لاختلاف الزمنين فيستحيل وقوع العامل الذي

---

[6] عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص 79.

[7] مالك يوسف المطلبي، الزمن و اللغة، ص 220.

[8] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص 82.

اخترناه في إذ الأولى إذ هذوقيل العامل فيها أبى."[9]، إذ جعل أبو حيان الأندلسي الآية التي سبقت هته الآية قد تم الإخبار فيها عن الله بصورة الغائب، ثم انتقل إلى ضمير المتكلم و أتى بـــ (نـــــــا) التي تدل على التعظيم ونزاهة الخالق وعلو منزلته، إذن جاء الفعل (أبى) بسياق ماض و قوله تعالى " قلنا للملائكة " وهو ماض يشير إلى أن الحدث (الإباء) وقع في المراحل الأولى من التاريخ و لا فضل للفعل (أبى) في تحديد هذه المرحلة الزمنية، و لكن اسم إبليس والملائكة و طريقة السرد القرآني هي التي بيّنت أن الحدث وقع في زمن ماض سحيق.[10] و لمّا كان للسياق دور مهم في تحديد الزمن النحوي، و ذلك من خلال مباني الجمل التي يرد فيها؛ فالجملة العربية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية و تحت كل منها تعريفات على نحو ما يذكره تمام حسان فيما يلي. [11]

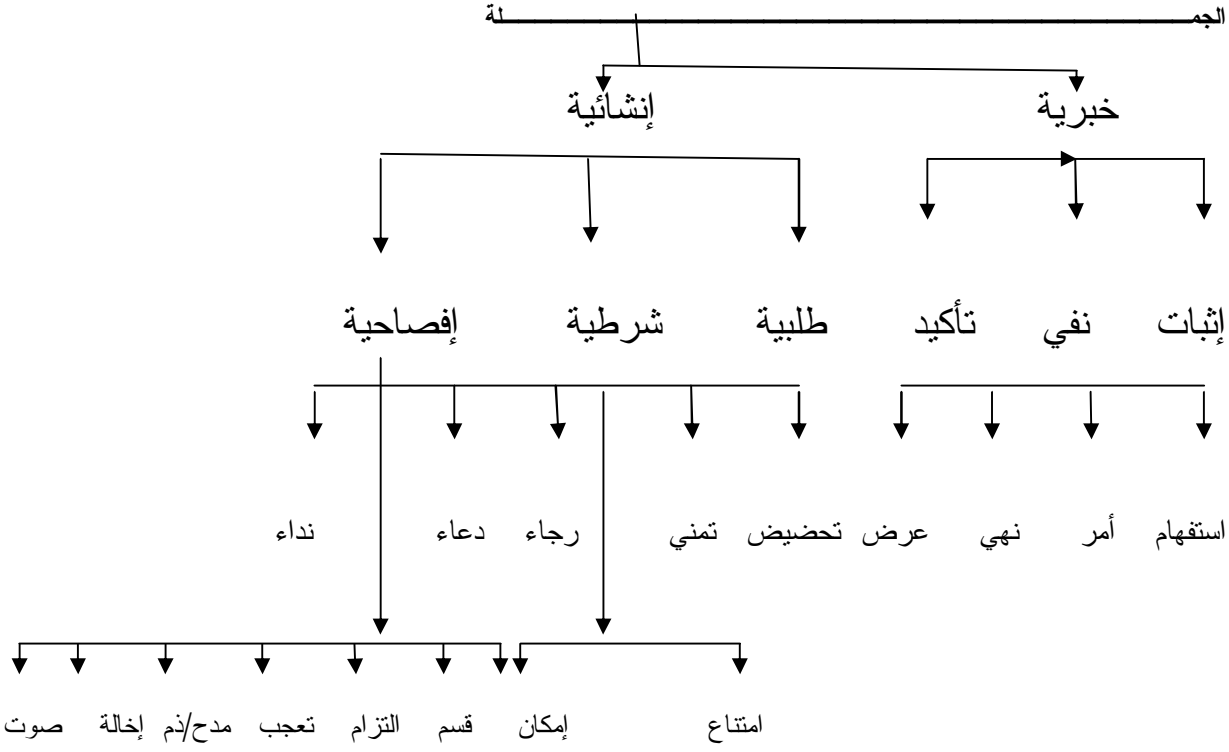

[9] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1413 هـــ، 1993 م، 301/1.

[10] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص 82 – 83.

[11] تمام حسان، اللغة العربية مبناها و مبناها، ص 244.

إن الجملة الخبرية الأصل فيها أن يرد فيها الماضي بمعنى الماضي.[12] فالجملة تحتفظ بصيغة (فعل) بزمنها الذي أعطاه إياه النظام الصرفي فيظل (فعل) ماضيا ولكن بحسب ما يعرض للزمن في هته الصيغة من معاني الجهة التي تفصح عنها اصطلاحات البعد و القرب والانقطاع والاتصال والتجديد و الانتهاء والاستمرار و المقاربة والشروع و البساطة، أي الخُلو من معنى الجهة، وهذا ما وضّحه تمام حسان في الجدول الآتي:

الزمن	الجـــــــــــــهة	صيغة الفعل
الماضي	البعيد المنقطع	كان فعل
الماضي	القريب المنقطع	كان قد فعل
الماضي	المتجدد	كان يفعل
الماضي	المنتهي بالحاضر	قد فعل
الماضي	المتصل بالحاضر	مازال يفعل
الماضي	المستمر	ظل يفعل
الماضي	البسيط	فعل
الماضي	المقارب	كاد يفعل
الماضي	الشروعي	طفق يفعل

فهناك تسع جهات مختلفة للماضي يظل(فعل) فيها على مضيه دائما، و الملاحظ أن تغيرات الجهة في معنى الزمن تأتي من الأدوات سواء أ كانت هذه الأدوات حرفية أم نواسخ. [13]

[12] ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، ص66.

[13] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص246.

وكذا الجملة الخبرية المؤكدة يظل فيها**(فعل)**على معناه الزمني الصرفي وأدوات التوكيد تطرأ على الجملة على النحو التالي :[14]

الزمـــــــــــــــــــــــــــــــن	الـــــــــــــــــــــــــــــجهة	صيغة فعــــــــــــــــل
الماضي	البعيد المنقطع	لقد كان فعل
الماضي	القريب المنقطع	انه كان قد فعل
الماضي	المتجدد	لقد كان يفعل
الماضي	المنتهي بالحاضر	لقد فعل
الماضي	المتصل بالحاضر	انه مازال يفعل
الماضي	المستمر	لقد ظل يفعل
الماضي	البسيط	انه فعل
الماضي	المقارب	لقد كاد يفعل
الماضي	الشروعي	لقد طفق يفعل

أما الجملة الخبرية المنفية فإن الغالب فيها هو استعمال المضارع للدلالة على الماضي لأنه هو الذي يُضام أكثر أدوات النفي، فإذا عرفنا ذلك سهل علينا تصور أن نفي الماضي لا يكون لصيغة **(فعل)** إلا حالة واحدة فقط هي نفي **(قد فعل)** الذي يكون **(ما فعل)**، أما جمل

---

[14] ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، ص251.

الإنشاء فمنها الجمل الاستفهامية التي تتوافق فيها دلالة الصيغة صرفيا ونحويا فيدل فيها (فعل) على الماضي على النحو التالي:[15]

الزمن	الجهة	صيغة فعل
الماضي	البعيد المنقطع	هل كان فعل
الماضي	القريب المنقطع	هل كان قد فعل
الماضي	المتجدد	هل كان يفعل
الماضي	المنتهي بالحاضر	أقد فعل
الماضي	المتصل بالحاضر	أما مازال يفعل
الماضي	المستمر	هل ظل يفعل
الماضي	البسيط	هل فعل
الماضي	المقارب	هل كاد يفعل
الماضي	الشروعي	هل طفق يفعل

و كذا جملة التوبيخ التي تدل فيها أيضا صيغة (فعل) على الماضي. [16]

[15] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 249.

[16] عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه و جهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1994، ص30.

نحو قوله تعالى:(فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴿١١٦﴾) (هود116/11). جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية قوله: " فلولا كان" أي فهلا كان (من القرون من قبلكم)، أي؛ من الأمم التي قبلكم، (أولوا بقية)، أي؛ أصحاب طاعة و دين و عقل و بصر، (ينهون) قومهم عن الفساد في الأرض لما أعطاهم الله تعالى من العقول و أراهم من الآيات وهذا توبيخ للكفار."[17]

أ- دلالة (فعل) على الماضي المطلق (القريب و البعيد): " و الماضي المطلق هو الزمن الذي مضى قبل زمن المتكلم، قريبا كان أو بعيدا وهو ما كان على(فعل)." [18]

*-الماضي البعيد: تعبر فيه (فعل) عن أحداث جرت في مراحل زمنية غابرة ضاربة في القدم كالحديث في أصل النشأة و الكون و الخلائق. و تأتي صيغة فعل و نحوها لسرد أحداث ماضية في أسلوب قصصي كمجيء الفعل (جاوزنا) في سياق سرد أخبار بني إسرائيل،[19] في قوله تعالى:(وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾) (الأعراف 138/7).

ومنه أيضا قوله تعالى : (وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾) (القصص 20/28) وقوله تعالى:(قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾)(البروج 4/85)، جاء في البحر المحيط أن " هذه السورة مكية (البروج) و مناسبتها لما قبلها لما ذُكر أنه أعلم بما يجمعون للرسول وللمؤمنين

---

[17] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1،1427ه- 11،234/2006،233.

[18] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1420ه- 3/308،2000.

[19] ينظر: بكري عبد الكريم،الزمن في القرآن الكريم، ص85.

من المكرو الخداع و إذاية من أسلم من الأذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس والماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه، ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار، وأن أولئك الذين عرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا...." [20]

-الماضي القريب: وردت صيغة (فعل) دالة على الماضي القريب في تلك الآيات التي نزلت في أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما لقوه من مشركي مكة إذ كانوا يؤذونهم أذى شديدا و كانوا يأتون الرسول-صلى الله عليه وسلم – بين مضروب و مشجوج [21] ومن هذه الآيات قوله تعالى:(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) (الحج 39/22). و قوله في الآية التي بعدها: (ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾) (الحج 40/22). و من أمثلة الماضي القريب أيضا قوله تعالى:(وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴿١٨﴾)(النساء 18/04). و قوله كذلك: (قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴿٧١﴾) (البقرة 71/02).

[20] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،442/8.

[21] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل وجود التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 1، 1418- 1998م، 199/4.

* أول آية أُذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف و سبعين آية. ينظر: المصدر نفسه ، 199/4.

ب- الماضي المنقطع: معنى الانقطاع أنه حصل مرة، و لم يتكرر، و ذلك إذا وقع الفعل الماضي خبرا لكان نحو (كان كذب)، أي؛ حصل مرة منه الكذب، و مثاله قوله تعالى: (وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ ﴿١٥﴾) (الأحزاب 15/33). أما عن الفعل الماضي المجرد من(كان) فهو قد يفيد الانقطاع[22] ، من نحو قوله تعالى: (خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴿٤٤﴾) (العنكبوت 44/29)، و أيضا: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴿٢٩﴾) (البقرة 29/2)، و قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾)(طه 5/20)، جاء في تفسير هذه الآية أن الله لما خلق السماوات والأرض، أنه استوى على العرش، و أنه يملك جميع ما حوت السماوات و الأرض ومابينهما. [23]

و الفعل في الماضي يحتمل أنه لم يحدث مرة واحدة فقط بل ربما يكون قد تكرر عدة مرات بحسب الموقف الذي وقع فيه و من أمثلته قوله تعالى: (أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ ﴿٩٣﴾) (الأعراف 93/7)، فمن المرجع أن النصيحة قد تكررت و مثله قوله تعالى: (مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴿٢٥٣﴾) (البقرة 253/2)، فقد يكون الكلام تكرر. و نحو قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا) (الأنعام 99/6)، و لا شك أن الله يفعل ذلك باستمرار،فإن إنزال الماء و إخراج النبات مستمران. [24]

---

[22] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 3/ 308.

[23] ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،6/ 214.

[24] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 309/3.

ج-الدلالة على حدث ماض بالنسبة إلى حدث ماض قبله:عندما يكون الفعل الماضي في جملة حالية مسبوقة بفعل ماضي[25] مثل قوله تعالى:(فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾) (الأحزاب 37/33). إذ نجد الفعلين (قضى) و(زوّج) يدلان على زمن ماض، إلا أن الفعل (قضى) أسبق في الحدوث من (زوج) و الحدثان وقعا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و الخطاب في (زوجناكها) لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- و الزمن الذي يفصل بين الفعلين هو الفترة الواقعة بين زواج زيد بن الحارثة من زينب بنت جحش -رضي الله عنهما- ثم تطليقها وزواجها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [26]، ومثاله أيضا قوله تعالى: (وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾)(الفرقان 37/25). وقوله: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾) (الأحزاب72/33). ومنه نستنتج أن صيغة فعل وضعت للدلالة على الزمن الماضي ، إلا أن السياق التي ترد فيه يزيدها دقة في الدلالة الزمنية و يحدد جهتها بدقة من مثل الزمن الماضي المطلق الذي يتحدد زمنه إما بالقرب أو البعد بواسطة السياق التي تكون الصيغة الصرفية الإفرادية موضوعة فيه، بالإضافة إلى القرائي اللفظية و المعنوية التي ترتبط بالصيغة .

2- دلالة صيغة (فعل) وما يماثلها على زمن الحال:

[25] ينظر:المرجع نفسه ، 311/3.

[27] ينظر، الزمخشري، الكشاف، 71/5-73.

إن الأصل في صيغة (فعل) أن تدل على الزمن الماضي وضعا بالأصالة ، لكنها قد تدل على زمن الحال في بعض المواضع بدلا من صيغة (يفعل)، و ذلك بوجود قرينة تصرفها إليها " ويأتي كما يقول علماء البلاغة – لنكتة بلاغية – تنزيلا لحوادث الحال منزلة حوادث الماضي للإشارة أن حدوثها واقع لا محالة، مثل حوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حقائق واقعية"[27] و تنصرف دلالة (فعل) للزمن الحاضر أيضا في مواضع منها:

أ- إذا وردت في سياق الإنشاء الإيقاعي : و هذا عند ورودها في تركيب إنشائي الذي يدل على أن الحدث «كان قد وقع في اللحظة التي وقع فيه الكلام كما يجري في العقود[28] نحو: "بعتك و زوجتك"، و من ذلك قول –رسول الله صلى عليه وسلم – لرجل فقير طلب أن يتزوج امرأة وهبت نفسها لرسول الله– صلى الله عليه وسلم –" أمعك من القرآن شيء؟ قال: نعم، سورة كذا و سورة كذا، لسور سماها فقال: زوجناكها بما معك من القرآن "[29].

فالفعل الماضي زوجناكها يدل على الزمن الحاضر في سياق القيام بعقد الزواج بين الرسول صلى الله عليه وسلم و الرجل الفقير .

و جاء في شرح التسهيل :" ينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء ، و الإنشاء في اللغة مصدر أنشأ فلان يفعل كذا، أي ابتدأ، ثم عبر به عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود كإيقاع التزويج بزوّجت، و التطليق بطلّقت، و البيع و الشراء ببعت واشتريت فهذه الأفعال و أمثالها ماضية اللفظ، حاضرة المعنى لأنها قصد بها الإنشاء أي إيقاع معانيها حال النطق بها ".[30]

---

[27] عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ط)،(د ت)، ص50.

[28] ينظر:السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،37/1.

[29] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، (د ط)، 1978، باب النكاح 229/19.

[30] ابن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمان السيد و محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة و النش، الجيزة، ط1 1990، 29/1-30.

فالحدث في هذه الحالة قد وقع في اللحظة التي صدر فيها الكلام إذ ليس المقصود من "بعتك" و "زوجتك" المعنى الخبري المتمثل في إخبار المتكلم لغيره بأنه باع أو زوج، وإنما المعنى المتمثل في قبول البيع أو الترويج ، وتسمى الأفعال الماضية الدالة على الإنشاء الإيقاعي"ألفاظ العقود ".[31]

و يوضح الرضي(686ه) الفرق الدلالي بين صيغة الماضي المستعملة في الإنشاء الإيقاعي و صيغة الحال بقوله:"و الفرق بين "بعت" الإنشائي ، و"أبيع" المقصود به الحال ، أن قولك: "أبيع " لا بد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ ، تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فإن حصلت المطابقة المقصودة فالكلام صدق ، و إلا فهو كذب(...)، و أما "بعت " الإنشائي فإنه لا خارج له تقصد مطابقته، بل البيع يحصل في الحال بهذا اللفظ و هذا اللفظ موجه له فلهذا قيل إن الكلام الإنشائي لا يحتمل الصدق و الكذب".[32]

ب- وتأتي صيغة (فعل) للدلالة على الزمن الحاضر في حالة ورودها في سياق الإعلان عن أمر والإقرار به وذلك موجود بكثرة في القران الكريم، منها ما جاء في قوله تعالى على لسان الحواريين لما أوحي إليهم أن يؤمنوا به و برسوله عيسى عليه السلام :(وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾) (المائدة 111/5) ، فصيغة الماضي في قوله: (آمنّا) تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق هذه الآية ، و في قولهم إعلان عن إيمانهم و إقرارهم به و نحو قوله تعالى على لسان موسى – عليه السلام- بعدما أفاق من الصعقة:(فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

---

[31] البشير جلول،"التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية "، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الآداب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع6 ،2011 ،ص4 .

[32] رضي الدين الإستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، قدم له إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 4/7.

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾) (الأعراف 143/7). فصيغة الماضي في قوله "تبت" تدل على الزمن الحاضر في ضوء سياق الآية و في قوله إعلان عن التوبة و إقرار بها[33]، وبنفس المنوال كذلك قوله تعالى: (قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾) (يونس 90/10).

ج-ومن المواضع كذلك التي تأتي (فعل) دالة على الحاضر في القران الكريم قوله تعالى: (ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾) (المائدة 3/5)، جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أن " الألف و اللام (اليوم) فيه للعهد وهو يوم عرفة، قال مجاهد و ابن زيد وهو يوم نزولها بعد العصر في حجة الوداع يوم الجمعة "[34] . فالمراد باليوم إذن هو الحيز من الزمان الواقع من طلوع الشمس إلى غروبها و دلالة "أكملت" هي الحاضر[35].

أما الزمخشري في تفسيره الكشاف فله رأي أخر غير رأي أبي حيان فهو يقول: "(اليوم) لم يرد به يوما بعينه و إنما أراد به الزمان الحاضر و ما يتصل به و بدانية من الأزمنة الماضية و الآتية، كقولك كنت بالأمس شابا، و أنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك."[36]" وهكذا فقد تبين لنا الصيغة الواحدة تستطيع أن تدخل

---

[33] محمد رجب محمد الوزير،" الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية " ، مجلة علوم اللغة دار غريب، القاهرة، مصر، المجلد 1، العدد2، 1998، ص7، نقلا عن: البشير جلول، "التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية "، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الآداب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر ع6 ،2011 ، ص5.

[34] أبو حيان الأندلسي ،البحر المحيط ج3، ص195.

[35] ينظر ،بكري عبد الكريم ،الزمن في القرآن الكريم، ص89.

(36) الزمخشري، الكشاف، 195/2.

في سياقات مختلفة بدلالات زمنية مختلفة على غير أصل وضعها المفرد، و قد كثر هذا في أعلى مستوى لغوي و هو القرآن الكريم".[37]

ومنه فان صيغة (فعل) التي تدل على الزمن الماضي بالأصالة –كما عرفنا سابقا– يمكن أن تتعدى هذا الوضع إلى وضع آخر و هو الدلالة على الزمن الحاضر في المواضع التي تطرقنا إليها آنفا.

3– دلالة صيغة (فعل) و ما يماثلها على زمن المستقبل:

بعد أن رأينا دلالة صيغة (فعل) على الماضي وضعا بالأصالة كما اتفق عليها النحاة الأوائل و كذا خروجها عن هذا بالدلالة على الحاضر فهي أيضا ترد لتفيد زمن المستقبل و هو ما يسمى عند النحاة بالزمن المجازي[38] .

ولقد وردت صيغة (فعل) دالة على زمن المستقبل بدلا من صيغة(يفعل) كثيرا في اللغة العربية لحكمة ما كانت لتتحقق عند استعمال صيغة (يفعل) مع أنها تفيد الحال و هذه الحكمة هي: القطع بحصول أحداث متحققة الوقوع فننزلها منزلة الفعل الماضي فمثلها أن الفعل الماضي تم وحصل دون شك في حدوثه، كذلك لا شك في حدوث تلك الأفعال إذ هي في تحقق الوقوع بمنزلة الماضي. [39] و لقد اهتم النحاة العرب بهذه الظاهرة التي جاء فيها الفعل الماضي دالا على الاستقبال بدلا في الفعل المضارع خاصة و أن هذا الاستعمال قد جاء بكثرة في القرآن الكريم. [40]

---

[37] كمال رشيد، الزمن النحوي، ص67.

[38] كمال رشيد، الزمن النحوي، ص 59.

[39] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 314/3.

[40] عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ص56،

و ينصرف الفعل الماضي للدلالة على الاستقبال في عدة مواطن نذكر منها:

أ-إذا تضمنت صيغة (فعل) معنى الوعيد، فإنها تنصرف إلى الدلالة على الاستقبال[41] وهذا في مثل قوله تعالى:(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١) (النحل 1/16) ، جاء في تفسير الآية:" أنها صدرت بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حلّ ذلك المتوعد به، فجيء بالماضي المراد به المستقبل المحقق الوقوع بقرينه تفريع (فلا تستعجلوه)، لأن النهي عن استعجال حلول ذلك اليوم يقتضي أنه لما يحل بعد". [42]

ب- و ينصرف إلى الاستقبال و ذلك إذا اقتضى طلبا نحو:غفر الله لك، ووعدا [43] نحو: (إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١) (الكوثر 1/108). جاء في تفسير هذه الآية قوله -صلى الله عليه وسلم-:" أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم".[44]

فصيغة الفعل الماضي "أعطيناك" تدل على المستقبل في سياق الوعد الذي وعده الله بإعطائه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة، فتحقق الوعد سيكون يوم القيامة التي لم يحن وقتها بعد. و مثال آخر عن الوعد قوله تعالى:(وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ ٢٠) (الفتح20/48). جاء في تفسير هذه الآية ما نقله

---

[41] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 313/3 .

[42] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 96/14.

[43] السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 37/1.

[44] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 521/8.

القرطبي عن ابن عباس و مجاهد: أنها المغانم التي تكون إلى يوم القيامة، وقال ابن زيد: هي مغانم خيبر.[45] حيث جاء الفعل (وعدكم) ماض لفظا مستقبلا معنى و هذا لتضمنه معنى الوعد.

ومن القرآن الكريم ما جاء في سياق الوعيد نجد قوله تعالى:(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ) (الزمر71/39).

ومثله في الوعد بالجنة قوله:(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴿٧٣﴾) (الزمر73/39). حيث جاءت دلالة الفعل (سيق) خالصة للاستقبال لأنها مدرجة في الحديث عن المستقبل البعيد ألا هو الدارة الآخرة. أما دلالة فتّحت في الآيتين السابقتين فتتوقف على من يعود عليه الضمير المضاف إلى الفاعل في أبوابها، فالآية الثانية تدل (وفتحت) على الماضي لأن أبواب الجنة مفتوحة أبدا و الدليل على ذلك.[46] قوله تعالى: (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾) (ص50/38).

ج- و ينصرف كذلك الفعل الماضي للدلالة على الزمن المستقبل إذا ورد في سياق الدعاء يقول سيبويه:" واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر و النهي ، وإذا قيل" دعاء" لأنه استعظم أن يقال: أمر أو نهي وذلك قولك اللهم زيدا فاغفر ذنبه، و زيدا فأصلح شأنه، و عمرا ليجزه الله خيرا. و تقول: زيدا قطع الله يده، و زيدا أمّر الله عليه العيش لأن معناه معنى زيدا ليقطع الله يده".[47]

---

[45] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، 320/19.

[46] ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص 93.

[47] سيبويه، الكتاب، 142/1.

و يقول المبرد(285ه) في هذا الصدد كذلك:" واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر و النهي(...) فأما قولك: غفر الله لزيد، و رحم الله زيدا، و نحو ذلك فإن لفظه لفظ الخبر و معناه الطلب، وإنما كان كذلك ليعلم السامع أنك لا تخبر عن الله عز و جل و إنما تسأله. [48]

فسيبويه و المبرد في هذين الموضعين أنزلا الدعاء منزلة الأمر و النهي الذين يختصان بزمن المستقبل فكان الدعاء بمنزلتهما في الزمند- و تدل صيغة الماضي على المستقبل إذا وردت في سياق حكاية حال آتية وذلك عند الإخبار عن الأمور المستقبلية و التي قطع الأمر في وقوعها أي أن حدوثها محسوم لا كلام فيه بحيث تنزل منزلة ما قد وقع.[49]

و من أوجه حكاية الحال الآتية على سبيل المثال، إخبار الله تعالى عما سيأتي في الدين من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ (الفتح 1/48). يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية:" هو فتح مكة، و قد نزلت مرجع رسول الله -صلى الله عليه و سلم-عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه و تعالى في أخباره لأنها في تحققها و تيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، و في ذلك من الفخامة و الدلالة على علو شأن المخبر مالا يخفى.[50] فصيغة الماضي"فتحنا" تدل على المستقبل بالنسبة لوقت نزول الآية على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- و ذلك في سياق حكاية الحال الآتية.

و منها أيضا إخبار الله تعالى عما سيأتي يوم القيامة، يقول القزويني (739ه):" و منه التعبير عن المستقبل بلفظ المضي تنبيها على تحقق وقوعه و أن ما هو للوقوع كالواقع،

---

[48] ينظر: المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، (د ط) 1415ه-1994م، 130/2.

[49] البشير جلول، " التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية "، ع6، ص5.

[50] الزمخشري، الكشاف، 534/5 .

كقوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾) (النمل78/27), و قوله: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾) (الكهف47/18)، و قوله تعالى:(وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴿٥٠﴾) (الأعراف 50/7) جعل المتوقع الذي لابد من وقوعه بمنزله الواقع. "[51] ومنه قوله تعالى:(يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾) (هود 97/11-98). يقول الزمخشري في تفسير الآية " فإن قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردهم؟ و لم جيء بلفظ الماضي؟ قلت: لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة"[52]، فصيغة الماضي "أوردهم" تدل على المستقبل في سياق حكاية الحال الآتية، عما سيحدث لفرعون و قومه من عذاب يوم القيامة و ما يلاحظ هو عطف الفعل الماضي "أورد" على الفعل المضارع "يقدم" و اتفاقهما في الدلالة على زمن واحد، ألا و هو زمن المستقبل، و عطف الماضي على المضارع هو نوع من الالتفات عند علماء البلاغة.[53] فهذه إذن بعض المواضع التي تأتي فيها صيغة الفعل الماضي دالة على زمن الاستقبال إما القريب أو البعيد أو المستمر أو المتجدد...، و هذا من خلال السياق الذي يلعب الدور الأبرز في تحديد الزمن.

4- دلالة صيغة (فعل) و ما يماثلها على الزمن العام:

---

[51] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق و تنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، ط3، 1413ه-1993م، 96/2.

[52] الزمخشري، الكشاف، 233/3.

[53] ينظر: محمد رجب محمد الوزير، " الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية "، ص161. نقلا عن : " التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية"،ص10.

بعد أن رأينا فيما سبق دلالة صيغة (فعل) على الزمن الماضي و الحال و من ثم الاستقبال سنتطرق فيما يأتي عن دلالة (فعل) على الأزمنة الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) أي زمن عام و مستمر وغير مرتبط بنقطة زمنية محددة بل إن مجاله يمتد من الماضي السحيق إلى المستقبل البعيد. و من المراضع التي تأتي فيها صيغة (فعل) دالة على الزمن العام نذكر منها:

أ- ما يتعلق بصفات الله عز و جل و أفعاله: و من ذلك قوله تعالى :(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾) (النساء 152/4) و قوله كذلك :(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾) (الفتح 4/48) و منه أيضا :(فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴿١١٤﴾) (طه 114/20). ومنه كذلك قوله عز و جل: (فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٢٩﴾) (يونس 29/10) .

فهذه الأمثلة و أمثالها كثيرة جدا في القرآن الكريم لا يمكن أن تكون صفات الله سبحانه و تعالى مقيدة بزمن معين لا تتعداه إلى زمن آخر، بل إن الثبات و الديمومة من مستلزمات الألوهية و الربوبية [54]، و الفعل الماضي "كان" دل على الزمن العام، لأنها أسندت إلى الله عز وجل فالله تعالى كائن " فيما مضى و الساعة و فيما يكون". [55]

ب- الدلالة على ظاهرة كونية متكررة: ومن ذلك قوله تعالى:(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴿٢٩﴾) (الفتح 29/48). فالأفعال" أخرج "، " آزر" ، " واستغلظ " لا تدل على زمن معين و إنما تدل على حدث

[54] كمال رشيد ، الزمن النحوي ، ص69.

[55] أبو عبيدة بن المثنى، مجاز القرآن، عارضه بأصوله و علق عليه محمد فؤاد سنركين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1981، 152/2.

يمكن أن يقع في كل وقت فهي ظواهر طبيعية ما فتئت تتكرر و تتجدد، ولا يمكن أن تتخلف، ولقد جاءت هذه الأفعال في سياق تشبيه الله تعالى للمؤمنين بهذا الزرع الذي من خصائصه أنه أخرج شطأه.[56]

قال الزمخشري في الكشاف:" و هذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي و استحكم لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قام وحده ثم قوّاه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى في الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ".[57]

و من الأفعال الماضية صيغة الدالة على الزمن العام معنا، و الواردة في سياق يدل على الظاهرة الكونية المتجددة و المتكررة قوله تعالى كذلك:(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠) (النحل 10/16). فنزول الماء من السماء يكون في كل زمان و باستمرار لأنها ظاهرة كونية متجددة[58].

ج– و تستعمل كذلك صيغة (فعل) للدلالة على الزمن العام إذا وردت في سياق الأمثال يقول مهدي المخزومي: " والدلالة على أن العمل كان قد حدث، و حدث كثيرا، ويمكن أن يحدث كثيرا و ذلك عندما يراد إجراء صيغة الماضي مجرى الأمثال مثل قولنا "اتفق النحاة" "اتفق المفسرون" "روت الرواة", [59] فصيغة الماضي في(اتفق)، (روت) تدل على وقوع الحدث في نقطة زمنية معينة من الماضي، و هي المناسبة التي قيل فيها المثل و حدث لأول

---

[56] بكري عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم، ص96.

[57] الزمخشري، الكشاف، 553/5.

[58] البشير جلول، "التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية"، ص18.

[59] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص123.

مرة لكن وقوعه لا يزال مستمرا كلما أتت مناسبة مشابهة للأولى، [60] فهي تصلح لكل زمان ومكان.

د- وتأتي أيضا صيغة (فعل) للتعبير على الزمن العام إذا جاءت دالة على صفة راسخة في النفس ثابتة فيها فيتحول معناه للدلالة على الزمن العام ، و من ذلك قوله تعالى: (وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴿١٢٨﴾) (النساء 128/4), يقول القرطبي في تفسير الآية بأن الشح في كل أحد و أن الإنسان لابد أن يشح بحكم خلقته و جبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره.[61] فالفعل الماضي "أحضرت" دل على الزمن العام لأنه بمثابة الصفة الثابتة اللازمة لبني البشر فالشح يحضر النفس البشرية في كل زمان.[62]

وكما يمكن أن يدل الفعل الماضي على الحاضر و المستقبل كذلك يمكن أن تنفتح دلالته الزمنية على المجال الزمني العام ولا تتقيد بنقطة زمنية محددة.

ثانيا : التعبير عن الزمن بصيغة الفعل المضارع

بعد أن رأينا فيما مضى من البحث دلالة صيغة (فعل) و ما يماثلها على الزمن الماضي وضعا بالأصالة والتغليب الذي ارتآه النحاة لهذه الصيغة، ومن ثم تطرقنا إلى ما يمكن أن تخرج عنه هذه الصيغة من الدلالة على الزمن الماضي إلى الدلالة على الزمن الحال والاستقبال وكذا الزمن العام. خروج عن الأصل بمعية قرائن حالية يفصح السياق عنها عند التعمق في مطياته إذن الصيغة المنفردة تدل على الزمن الماضي لكن عند وضعها في سياق

---

[60] ينظر: محمد رجب محمد الوزير، " الدلالة الزمني لصيغة الماضي في العربية "، ص130، نقلا عن: البشير جلول التحويل الزمن للفعل الماضي في العربية "،ص 5.

[61] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 166/7.

[62] ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص96.

قصصي أو في سياق حكاية حال آتية أوفي سياق وعد أو عيد أو الحديث عن صفات الله أو ظاهرة كونية أو غيرها فإنها دلالتها الزمنية تتغير.

أما فيما يأتي من البحث فإننا سنتطرق إلى التعبير عن الزمن بصيغة الفعل المضارع، وعن الدلالة الزمنية المحتملة لصيغة (يفعل) وما مدى المجال الزمني الذي يمكن أن تحتويه.

لقد اختلف النحاة في دلالة يفعل على الزمن، حيث رآها بعضهم للاستقبال، ورآها آخرون للحال، ورآها الجمهور صالحة للحال وللاستقبال ولا يخلصها لواحد منهما إلا القرينة، إذ إن السيوطي ذكر خمسة آراء في زمن الفعل المضارع إذ يقول: " في زمان المضارع خمسة أقوال:

– أحدهما: أنه لا يكون إلا للحال، وعليه إني الطراوة...

–الثاني: أنه لا يكون إلا للمستقبل وعليه الزجاج ...

–والثالث: هو رأي الجمهور وسيبويه أنه صالح لهما حقيقة فيكون مشتركا بينهما.

–الرابع: أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال، وعليه الفارسي وابن أبي ركب.

الخامس: عكسه (أي مجاز في الحال وحقيقة في الاستقبال) وعليه ابن طاهر.[63]

و الفصل في تحديد زمن صيغة (يفعل) هو السياق الذي ترد فيه يفضل ماله من قرائن لفظية ومعنوية فمنها ما يصرفها إلى زمن المستقبل و منها ما يصرفها إلى الزمن العام ، وأما إذا تجردت من القرائن فإنها لا تدل إلا على الحال.

1–دلالة صيغة (يفعل) و ما يماثلها على زمن الحال:

[63] السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 1/32–33.

لقد رأى جمهور النحاة أن صيغة (يفعل) إن وردت مجردة من القرائن فإنها ترجع للدلالة على الحال. وإذا أريد بها الاستقبال ألحقت بها قرائن تصرفها إليه ، و كما أن للفعل الماضي صيغة خاصة تدل عليه وهي (فعل) وللمستقبل صيغة الخاصة كذلك التي تدل عليه. فإن من المناسب أن يكون للحال صيغة خاصة، وجعلت دلالته الراجحة عند تجرده من القرائن.[64]

و يورد ابن السراج في كتابه الأصول في النحو بأن الفعل المضارع لا يدل إلا على الحال بلفظة إذ يقول: " فإذا قلت : سيفعل أو سوف يفعل دل على أنك تريد المستقبل، وترك الحاضر على لفظه لأنه أولى به. " [65] وليس ببعيد من هذا الرأي نجد محمد إبراهيم يوسف شيبة ينحو منحى ابن السراج إذ يقول : " والراجح عندي أن يطلق على المضارع (الفعل الحاضر) ليوافق ما يدل عليه وهو أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال كما ذهب إليه أبو علي الفارسي وأخذ به عدد من النحويين بل ذهب بعضهم كابن الطراوة إلى أنه لا يكون إلا للحال وهو ما أحيل إليه، لأن الأصل ألاّ يحكم للفظ واحد بمعنيين متغايرين إلا بدليل."[66]

و منه نخلص إلى أن هناك طائفة من النحاة القدامى و حتى باحثي العربية المحدثين يذهبون إلى أن الفعل المضارع المجرد من الأدوات و القرائن لا يدل إلا على الزمن الحاضر. وفي المقابل من ذلك يوجد هناك من يقر بأنه يدل على الحال والاستقبال معا– و قد جاء معنا التفصيل في هذه القضية فيما سبق من بداية هذا المطلب– و يترتب من هذا كله أن صيغة

---

[64] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 32/1.

[65] ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417ه– 1996م،39/1.

[66] ينظر: محمد إبراهيم يوسف شيبة، النحو الكوفي في شرح القصائد السبع الجاهليات لأبي بكر ابن الأنباري (327ه) رسالة ماجستير في النحو و الصرف، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1408ه– 1988، ص50–51 .

(يفعل) مجردة من الأدوات تدل على الزمن الحاضر و هذا في مواضع يوضحها السياق نذكر منها ما جاء في قوله تعالى على لسان أحد رفيقي سيدنا يوسف عليه السلام في السجن:

(قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ (يوسف 36/12) ، فالآية تنقل صورة المنام الماضية إلى الواقع الحاضر و تأتي الدلالة على الحاضر من القرائن التالية: " إني أراني أحمل" مجردة من كل الأدواتن، فإني تدل على الحضور وتثبيت الزمن، ثم جملة " تأكل الطير منه" فهي استحضار مستمر لوقائع المنام.[67]

و منه كذلك قوله تعالى:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ٥٢) (الحج 52/22). يقول الزمخشري في تفسير الآية الكريمة: "فينسخ ما يلقى الشيطان"، أي؛ "يذهب به ويبطله"[68] أي؛ أن الله سبحانه و تعالى يزيل هذه الأكاذيب في الحال.

و قوله تعالى أيضا في سياق دلالة المضارع على الحال، في سورة النمل:(قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ٤٠) (النمل 39/27–40). جاء في البحر المحيط أن كلمة آتيك تحتمل أن تكون مضارعا و اسم فاعل....و ارتداد الطرف

[67] ينظر، بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص، 108.

[68] الزمخشري، الكشاف، 206/4.

حقيقة. و أنه أقصر في المدة من مدة العفريت.[69] فالفعل آتيك يدل على الزمن الحال بالنسبة لوقت طلب سيدنا سليمان عليه السلام من الحاضرين في مجلسه بالإتيان له بعرش بلقيس.

2-دلالة صيغة (يفعل) و ما يماثلها على الزمن المستقبل:

قد يدل الفعل المضارع على زمن الاستقبال بلفظة دون اقترانه بأية علامة أو قرينة تعينه له أو تخلصه لغيره. يقول سيبويه:" وأما بناء ما لو يقع فأنه قولك (...) مخيرا يقتل ويذهب ويضرب و يُقتل ويُضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت" [70] فصيغة(يفعل) يمكن أن تدل على الحال والاستقبال معا إلا أن جمهور النحاة رجح دلالة (يفعل) إذا كانت مجردة من القرائن للحال وهذا كما سبق ذكره.

ويستند(يفعل) في القرآن الكريم على قرائن للدلالة على المستقبل القريب وحتى البعيد وهذا باعتبار السياق القرآني الذي يقوم بدور التدقيق في الزمن و توضيحه، ومن هذه القرائن نجد:

أ- القرينة اللفظية (يوم) التي تدل غالبا على يوم القيامة في القران الكريم إذ تصرف الفعل الذي يأتي بعدها إلى المستقبل البعيد و من ذلك قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾)

(البقرة254/2). أورد ابو حيان في البحر المحيط أن اليوم هو يوم القيامة وقد حذر الله تعالى من الإمساك قبل أن يأتي هذا اليوم.[71] وقوله كذالك: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

[69] ينظر: أبو حيان الأندلسي, البحر المحيط, 72/7-73.

[70] ينظر: سيبويه، الكتاب، 1/ ص12.

[71] ينظر ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 285/2.

مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢) (الحج 2/22) فالقرينة (يوم) يقصد بها يوم قيام الساعة لذا دلت الأفعال على المستقبل.

ب- وتخلص صيغة (يفعل) للاستقبال مجردة من الأدوات إذا جاءت في سياق (الدعاء) الطلب نحو قوله: (۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ۝٢٣٣) (البقرة 233/1) وقوله أيضا: (لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ۝٧) (الطلاق 7/65)، أي؛ ليرضعن، وفي الدعاء [72] في مثل قوله تعالى:(رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ۝٢٨٦) (البقرة 286/1).

ج- وتخلص كذلك إلى الاستقبال إذا اقتضت وعدا أو وعيدا.[73] فأما الوعد نحو قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤ (الحج14/22)، حيث وعد الله سبحانه وتعالى عبادة المؤمنين بالأجر والثواب وذلك بدخول الجنة، وأما عن الوعيد في قوله : (وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٤) (الفتح 14/48)، جاء في الكشاف

[72] ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، 33/3.

[73] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 21/1.

أن الله يغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المُصر. (74)

د- وكذلك تؤول دلالة (يفعل) إلى الاستقبال إذا أسندت لخبر متوقع؛[75] ويقصد بالخبر المتوقع أن الفعل لم يتحقق بعد ويكون تحققه في المستقبل ومثاله قوله عز وجل: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾) (النساء 124/4) وقوله كذلك: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ ﴿١٣﴾) إذ دلّ (يحزنني)على مستقبل قريب، لأن ذهابهم بسيدنا يوسف ومفارقته أباه أمران لم يكونا قد حدثا بعد ولذلك ينصرف الفعل إلى الاستقبال[76]

إذن فالمحصلة أن الصيغة الفعلية للفعل المضارع (يفعل) المجردة من الأدوات يمكن أن تدل على الاستقبال كما ذهب إليه طائفة من النحاة، وأن انصرافها هذا لا يكون إلا إذا وضعت في سياق طلب أو وعد أو دعاء ... أو اقترانها بقرينة لفظية مثل: (اليوم) التي تحيل الزمن إلى الاستقبال البعيد غالبا.

3-دلالة صيغة (يفعل) وما يماثلها على الزمن الماضي:

ذكر النحاة أن الفعل المضارع قد يتحول زمانه من إمكانيته للدلالة على الحال و الاستقبال إلى الدلالة على الأحداث في الزمن الماضي الذي وضعت له صيغة الفعل الماضي أصلا. إذ أن صيغة (يفعل) تدل في السياق على الماضي بفضل قرائن نذكر منها:

---

(74) الزمخشري، الكشاف، 540/5.

(75) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 20/1.

(76) بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص116.

أ-إذا وقعت صيغة (يفعل) في سياق حكاية حال ماضية، و هذا بأن يعبر عن الأحداث الماضية بصيغة (يفعل) الدالة على زمن الحال والاستقبال لكي تستحضر في الذهن كما لو كانت مشاهدة في وقت الإخبار و مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: (وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾) (البقر 49/1)، فتذبيح الأبناء و استحياء النساء أحداث ماضية عبر عنها بالفعل الذي يدل على الحال قصد إحضار مشاهد التعذيب أمام العين. [77] فهنا جاء الفعل المضارع ماض زمنا و معنى، يقول ابن هشام:" أنهم يعبرون عن الماضي و الآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر، قصدا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار(....)، و مثله قوله تعالى:(ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴿٩﴾) (فاطر 9/35) قصد بقوله سبحانه " فتثير" إحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحب تبدو أولا قطعا ثم تتضام متقلبة بين أطوار حتى تصير ركاما."[78]

و منه كذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: (فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾) (البقرة 87/1)، جاء في تفسير الكشاف لهذه الآية: " فان قلت هلا قيل و فريقا قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس و تصوره في القلوب. و أن يراد: و فريقا تقتلونهم بعد لا لكم تحومون حول قتل محمد -صلى الله عليه وسلم- لولا أني أعصمه منكم.[79]

---

[77] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 328/3.

[78] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 691/6-692.

[79] الزمخشري، الكشاف، 293/1-294.

ب- تأتي كذلك صيغة (يفعل) لتدل على الزمن الماضي إذا كانت في موضع خبر (كان)[80] من ذلك قوله عز وجل في محكم التنزيل: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾) (البقرة 75/1)، فالفعل "يسمعون" جاء بصيغة المضارع دالا على الزمن الماضي لأنه خبر كان و أخواتها.

ج – إذا وقع المضارع حالا عامله فعل ماض فإن دلالته تؤول للماضي من ذلك قوله تعالى: (فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ ﴿٢٧﴾) (مريم 27/19). و قوله: (وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾) (القصص 20/28). حيث جاء الفعل المضارع (تحمله) و (يسعى) دالا على الماضي في الآيتين لأن الفعل المضارع جملة حالية فيهما و الآيتان وردتا في سياق قصصي إخباري.[81]

د- بالإضافة إلى ذلك وقوع صيغة (يفعل) معطوفة على (فعل) الدالة على الماضي لفظا و معنى[82]، و هذا يتمثل في قوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾) (الحج 63/22) أي أصبحت مخضرة.

إذ إن المعطوف (الفعل المضارع تصبح) أخذ زمن المعطوف عليه (الفعل الماضي أنزل).

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير و التنوير: " و إنما عبر عن مصير الأرض الخضراء بصيغة (تصبح الأرض مخضرة) مع أن ذلك مفرع على فعل (أنزل من السماء

---

[80] السيوطي، جمع الجوامع في شرح الجوامع، 36/1.

[81] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص106

[82] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، (د ت)، ص62.

ماء) الذي هو بصيغة الماضي لأنه قصد من المضارع استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة و لإفائدة بقاء أمر إنزال المطر زمانا بعد زمان كما تقول: أنعم فلان عليّ فأروح و أغدو شاكرا له." [83]

و منه أيضا قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ ﴿٢١﴾) (الزمر21/39)

ه- دلالة الفعل المضارع على الزمن الماضي بمعية قرينة لفظية، و من ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾) (البقرة21/2). يقول أبو حيان و هو يشرح هذه الآية : و ما يقتلون بصورة المضارع و المراد الماضي إذ المعنى قل فلم قتلتم و أوضح ذلك أن هؤلاء الذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يصدر منهم قتل الأنبياء و أنه قيد بقوله "من قبل" فدل على تقدم القتل...[84] هي التي دلت على أن الزمن مضى و انقضى، و منه فإن صيغة الفعل المضارع تدل في الأصل على زمن الحال و الاستقبال كما قال جمهور النحاة لكنها قد تخرج عن هذا فتدل على الزمن الماضي و هذا بواسطة قرائن مدمجة داخل السياق و هذا موضح فيما سبق من الكلام.

4-دلالة صيغة (يفعل) وما يماثلها على الزمن العام:

(83) الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 318/17.

[84] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،475/1.

ذكرنا فيما سبق أن صيغة (يفعل) تدل على الحال تحديدا وتدل على الزمن الماضي والمستقبل وإذا جاءت مقترنة بقرائن سواء كانت لفظية أو معنوية يحددها السياق التي وردت فيه تلك الصيغة المجردة من الأدوات (النواصب و الجوازم و الاستفهام ...)

ومع ذلك يمكن أن تدل على الزمن العام في السياق الذي لا ينفع فيه الحدث في متسع زمني معين، وإنما يحدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

و جاءت صيغة (يفعل) دالة على الزمن العام في القرآن الكريم نذكر منها:

أ-ومن المواضع كذلك ما جاء في سياق أفعال متعلقة بذات الله سبحانه وتعالى[85] :حيث هي الأفعال التي تستغرق الأزمنة الثلاثة غير مفيدة بزمن معين . إذ يمكن القول عنها أنها أفعال أولية و يوضح ذلك قوله تعالى:(يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ۝٥) (الزمر 5/39)، جاء في التفسير الكبير أن اختلاف الليل والنهار هو المراد بها في هذه الآية وذلك أن النور والظلمة عسكران عظيمان مهيبان . وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة . وذاك تارة أخرى إذا يدل هذا على أنها مقهوران ولا بذلهما من قاهر ألا هو الله سبحانه وتعالى[86] إذ نفهم أن فعل التكرر في هذه الآية ليس مربوط بزمن معين بل تمتد من الماضي السحيق إلى المستقبل البعيد أي منذ نشأة الكون إلى غاية هلاكه. ومنه قوله أيضا: (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٢٧)(آل

[85] ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي، ص68.

[86] الرازي، التفسير الكبير، 244/26.

عمران3/26-27) وأيضا قوله: (ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴿٢٦﴾) (الرعد 26/13).

ج-الدلالة على حقيقة من حيث هي غير مقيدة بزمن، [87] نحو قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾) (البقرة2/74). وقوله: (وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾) (النور24/45). ومن أمثلة (يفعل) الدالة على الزمن العام الذي يشمل الماضي والحاضر والمستقبل نذكر قوله جل ذكره في جواب سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل لما طلبوا منه أن يجعل لهم إلها صنما:(قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾) (الأعراف 7/138)، فدل الفعل المضارع (تجهلون) على الزمن العام والمطلق أي يستغرق الأزمنة الثلاث الماضية والحاضرة والمستقبلية، و هذا ما أكده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط حين قال:" وأتى بلفظ (تجهلون ولم يقل جهلتم) إشعارا بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة لا يتنقلون عنه في ماضي ومستقبل" [88]

ثالثا: التعبير عن الزمن بصيغة فعل الأمر

[87] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 3/332.

[88] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 4/377.

يعد فعل الأمر القسم الثالث من أقسام الفعل على حد قول البصريين. و يعرفه الزمخشري مستندا إلى اشتقاقه قائلا:"هو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة فنقول في تضع ضع، و في تضارب ضارب و في تدحرج دحرج و نحوها مما أوله متحرك فان سكن زدت لئلا تبتدئ بالساكن همزة وصل فتقول في تضرب اضرب و في تنطلق و تستخرج انطلق و استخرج...[89]

و منه فإن الأمر يصاغ من المضارع لاتلافهما في الدلالة على المستقبل و يتم ذلك بنزع حرف المضارعة من الفاعل المخاطب للتحقيق.

و هذا الرأي ينسب للبصريين الذي يعدون فعل الأمر قيما للماضي و المضارع أما الكوفيون فلا يتضمن تقييمهم فعل الأمر فهو عندهم مقتطع من الفعل المضارع حيث ذهبوا إلى أن فعل الأمر للواجه المعرى من حرف المضارعة. نحو: افعل، معرب مجزوم... لأن الأصل في الأمر للواجه في نحو" افعل"، "لتفعل" كقولهم في الأمر للغائب " ليفعل"...ألا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم و جرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف....[90]

و يعبر عن فعل الأمر بصيغة "افعل" كما يعبر عنه بصيغ أخرى نحو: افعل و افعل، و هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله:"و أما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا اذهب و اقتل و اضرب".[91] و يعرف فعل الأمر من خلال علامات يوردها ابن هشام الأنصاري بقوله " فذكرت أن

---

[89] ابن يعيش، شرح المفصل، 58/7.

[90] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 414-415.

[91] سيبويه، الكتاب، 12/1.

علامته التي يعرف بها مركبة من مجموع شيئين وهما: دلالة على الطلب و قبوله ياء المخاطبة"[92] و مثاله قوله تعالى (فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴿٢٦﴾) (مريم 26/19).

و للأمر استعمال أصلي و استعمالات فرعية ينجم عنها معنى الطلب و الدعاء، يقول ابن يعيش: " و اعلم أن أمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة و له و لصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، و إن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب و إن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء".[93]

أما من حيث الدلالة الزمنية فقد انقسم في ذلك النحاة إلى ثلاثة أقسام:

أما القسم الأول ففيه يرى عدد من النحاة أن فعل الأمر يدل على الاستقبال و من هؤلاء سيبويه في تعريفه للفعل الأمر. و الذي سبق ذكره، و بالإضافة إليه نجد السيوطي الذي وافق سيبويه في دلالة الأمر على الاستقبال حين قال: " و الأمر مستقبل أبدا لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل....".[94] و هذا نحو قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾) (الأحزاب 1/33).

و نهج هذا النهج ابن يعيش و الأشموني و غيرهما، و ذهب هذا المذهب من العلماء المحدثين على سبيل المثال عبد الصبور شاهين الذي يرى :" أن الأمر يعني الطلب و هو لا يكون إلا

---

[92] ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى و بل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبري، مصر، ط11، 1383ه-1963م، ص30.

[93] ابن يعيش، شرح المفصل 58/7.

[94] السيوطي، جمع الجوامع في شرح جمع الجوامع، 30/1.

في المستقبل، أي؛ أن الدلالة الزمنية في لقب الأمر إلتزامية و ليست مطابقية كما في لقب الماضي و لكنه مقبول على أي حال".[95]

و منهم أيضا السيد أحمد الهاشمي؛ الذي يرى أن فعل الأمر لا يدل إلا على الزمن المستقبل و يتضح ذلك جليا في قوله: " الأمر ما يطلب به حدوث شيء في الاستقبال نحو: اسمع و هات و تعال."[96]

إذن، فهؤلاء الطائفة من النحاة القدامى و العلماء المحدثين يروا أن زمن فعل الأمر لا يخلص إلا للاستقبال، و لكن في المقابل هناك من يرى رؤية أخرى مغايرة ، إذ نجدهم في القسم الثاني الذي ينادي أصحابه بدلالة فعل الأمر على الزمن الحال و منهم على سبيل المثال إبراهيم أنيس الذي تحدث في كتابه من أسرار اللغة العربية حينما خصص المبحث المسمى " الفكرة الزمنية " إذ يقول: " و لما رأى نحاة العرب ثلاث صيغ للفعل اختصوا كلا منهما بزمن من تلك الأزمنة (...) و كما جعلوا الأمر للزمن الحالي".[97] فهو يرى أن الأمر لا يدل إلا على زمن الاستقبال فقط.

أما القسم الثالث فقد جمع بين الرأيين السابقين؛ إذ يدل فعل الأمر على زمن الحال و الاستقبال معا، و من مؤيدي هذا القول نجد تمام حسان الذي يقول: " فالحال و الاستقبال هما

---

[95] عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1400ه-1980م، ص61.

[96] السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د ط)،(د ت)، ص20.

[97] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، ص 171.

معنى الأمر بالصيغة و الأمر باللام"[98]، و ذلك مثل قولنا: افعل الآن فهو يدل على الحال و افعل غدا تدل على الاستقبال، إذ القرينة المصاحبة لفعل الأمر هي التي تحدد زمنه بدقة.

و من ثم لا ضير أن ننوه أن هناك قسم رابع جرد فعل الأمر من الزمن حيث جعلها دالة على الطلب لا غير من هؤلاء نذكر إبراهيم السامرائي، الذي يقول: " و يبدو لنا أن الكوفيين على حق في إبعاد الأمر أن يكون قسيما للماضي و المستقبل و ذلك أن فعل الأمر طلب و هو حدث كسائر الأفعال غير أن دلالته الزمنية غير واضحة ذلك أن الحدث في هذا الطلب غير واقع إلا بعد زمان التكلم".[99]

فهو يذهب مذهب الكوفة؛ التي لا تجعل فعل الأمر قسيما للماضي و المضارع فقد عد الأمر فعلا لم يقع، لذا فإن دلالته الزمنية غير جلية.

و مما سبق من الآراء نخلص إلى أن القول الراجح في دلالة الأمر هي أن الزمن الأصل لفعل الأمر هو الزمن الاستقبالي لأن الفاعل المخاطب لم يقم بالفعل أثناء التكلم بلفظ الأمر لكن قد يدل فعل الأمر على الزمن الحال شأنه شأن الفعل المضارع إذا ورد في سياق حال نحو: اكتب الآن أو اخرج اللحظة من القسم، فالزمن الصرفي لفعل الأمر مستقبل و الزمن النحوي قد يدل على الحال بقرينه. أمّا عن دلالة صيغة (افعل) في القرآن الكريم فنجدها على عدة وجوه منها: **1- الدلالة على الزمن المستقبل:** في هذا الشأن تأتي صيغة فعل الأمر للدلالة على الزمن المستقبل بنوعيه ألا وهما:

---

[98] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص250

[99] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص 21-22.

أ-المستقبل القريب:[100] أي أن زمن إيقاع الفعل يكون في الزمن القريب من زمن التلفظ بالأمر المطلوب إنجازه مثل قولك لزميل لك في الغرفة: اسكت و دعنا نراجع دروسنا. فأمرك بالسكوت يتطلب الفور بتطبيقه، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله عز وجل: (فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾) (الحجر 94/15). جاء في تفسير هذه الآية: اجهر به و أظهره من الصديع و هو الفجر[101]، حيث جاء فعل الأمر دالا على المستقبل القريب من سياق ورود الآية و منه أيضا قوله:(فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾) (البقرة 68/2).

ب- المستقبل البعيد: و ذلك عند تصوير الحوار الذي يتم بين الطرفين عند قيام الساعة إذ نلاحظ أن مثل هذه الأساليب تأتي غالبا في سياق وصف مشاهد يوم القيامة،[102] من ذلك قوله سبحانه و تعالى:(وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾)(آل عمران 181/3). جاء في الجامع لأحكام القرآن أنه يقال لهم في جهنم أو عند الموت أو عند الحساب هذا، ثم هذا القول من الله تعالى أو من الملائكة[103]. فزمن فعل الأمر ذوقوا يوم القيامة أي المستقبل البعيد, و من ذلك أيضا في القرآن الكريم (وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا ﴿٥٢﴾) (الكهف 52/18), و منه في الدعاء

---

[100] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته ، 410/4.

[101] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 454/5.

[102] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص 133.

[103] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 444/5.

الذي يدل على إيقاع الفعل في المستقبل البعيد قوله:(وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾) (الفرقان 65/25)

2- ويدل كذلك فعل الأمر على زمن الحال، و ذلك نحو قوله تعالى:(ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾) (الدخان44/48-49). فزمن الذوق مصاحب لصبّ الحميم. وقوله كذالك: (يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾)(الذاريات13/51) وقوله أيضا: (يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾) (القمر48/54). فزمن الذوق هو زمن تعذيبهم في النار وهذا كله واضح أنه في الحال.[104]

3-الدلالة على وقوع الحدث في الماضي: لا تختلف صيغة (افعل) من حيث الدلالة الزمنية عن الصيغ الأخرى، فهي تعبر عن جميع المراحل الزمنية و السياق يلعب الدور الأبرز في تحديد الدقة الزمنية لصيغة الفعل إذ نجد أن صيغة (افعل) واقعة في سياق الماضي دالة على أن الحدث وقع و انتهى فيما مضى من الزمن،[105] و من ذلك قوله تعالى:(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾)(يوسف 87/12). جاء في تفسير الكشاف لهذه الآية: " فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟

[104] ينظر: إبراهيم فاضل السامرائي، معاني النحو، 411/4.

[105] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص128.

قلت: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم، فدخلوا عليه و ضم إليه أبويه."[106]

فقوله: ادخلوا مصر كان بعد أن حلوا في مصر.

و من ذلك أيضا:(يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾) (يوسف 87/12)، فالفعلان: اذهبوا و تحسسوا، فعلا أمر وقعا في سياق الماضي؛ لأنهما تحققا و انتهى أمرهما و سياق القصة يبين أن إخوة يوسف عليه السلام ذهبوا فعلا كما أمرهم أبوهم و يدل على ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴿٨٨﴾) (يوسف12/ 88).

و من الأمثلة التي تدل على أن فعل الأمر وقع في ما مضى من الزمن و انتهى:

-(ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴿٣٧﴾) (النحل37/27)

-(قَالَ أَلۡقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾) (طه 20/20)

-(قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴿٤٠﴾) (هود 40/11)، فكل هذه الأفعال في الأمثلة الأخيرة جاءت بصيغة الأمر لكن حدوثها جاء في سياق الماضي؛ بمعنى أن أحداث الأمر قد تحقق وقوعها في الزمن الماضي و انتهى . لكن في المقابل توجد أفعال جاءت في سياق ماض لكن حدوثها وقع و لم ينقطع عن الزمن.

[106] الزمخشري، الكشاف، 325/3.

4-دلالة فعل الأمر على الزمن المطلق لكونه يعرب عن حقيقة أوحكم أوتوجيه [107]: و نقصد بالزمن المطلق هنا هو المجال الزمني المفتوح من الماضي السحيق إلى المستقبل البعيد، إذ إن النقطة الزمنية فيه ليست مقيدة بزمن محدود بل تشمل كل نقاط المجال الزمني و قد وردت هذه الصيغ في القرآن الكريم، و قد صاحبت الأمر بالقيام بالفعل في زمن مضى مع امتداد زمن الفعل المأمور به في الزمن المطلق. و مثاله: (فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾)(الملك 15/6)، جاء في البحر المحيط " فامشوا في مناكبها" أمر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها.[108] فزمن الفعل الذي جاء بصيغة الأمر هنا مطلق أي منذ أن نزلت هذه الآية إلى غاية يوم الدين (القيامة). و على هذا النحو نذكر الأمثلة التالية:

-(وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴿٦٩﴾) (النحل 68.69/16).

-(فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ ﴿٥٤﴾) (طه53/20-54)

5- و قد يدل فعل الأمر أيضا على الاستمرار والدوام على أفعال كانت تقام قبل ورود الأمر بالدوام عليها و مثاله: واصل على هذا المنوال كي تنجح في دراستك. وأما عن الأمثلة في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴿١﴾) (الأحزاب 1/33) فالمطلوب

[107] ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 416/4.

[108] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 295/8

هوالاستمرار على التقوى لأن الرسول –صلى الله عليه و سلم– متق الله قبل نزول الآية.[109]

و منه: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾) (آل عمران 200/3)، فقد جاء الفعلان "اصبروا" و" صابروا" دالين على مواصلة الصبر و قد أورد الطاهر بن عاشور شرحا لهذه الأفعال إذ يقول: ختمت السورة بوصاية جامعة للمؤمنين تجدد عزيمتهم و تبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو... فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل و خصال الكمال ثم بالمصابرة و هي الصبر في وجه الصابر...و قوله "رابطو" أمر لهم بالمرابطة و هو ربط الخيل للحراسة في غير الجهاد خشية أن يفاجئهم العدو... وأعقب هذا الأمر، الأمر بالتقوى لأنها جماع الخيرات و بها يرجى الفلاح.[110]

و منه كذالك: (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾) (البقرة 238/1). قوله: (فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴿١١٢﴾) (هود112/11).

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿١٣٦﴾) (النساء 136/4).

ومنه نخلص إلى أن صيغة فعل الأمر هي أسلوب إنشائي شأنه شأن الأساليب الأخرى ويأتي للطلب بإيقاع الفعل في الزمن الذي يحدد السياق، و يأتي الأمر إما للمخاطب بصيغة

[109] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 414/4.

[110] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 208/4–209.

(افعل) وإما لغير المخاطب فيؤمر باللام نحو قوله تعالى:(وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴿٧٧﴾)الزخرف(77/43).

و قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى المجاز، و من أشهر معانيه المجازية

-الإباحة: نحو (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ ﴿٢﴾) المائدة 2/5.

-الدعاء نحو (رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴿٢٨﴾) (نوح 28/71).

-التهديد (ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾) (فصلت 40/41).

-التوجيه والإرشاد نحو (وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴿٤٥﴾) (البقرة 45/2),

-الإكرام نحو(ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾) (الحجر 46/15). و ما إلى ذلك من معان أخرى من الإكرام و الإهانة و الاحتقار و التسوية...[111]أما عن الدلالة الزمنية فقد سبق الحديث عنها آنفا.

وعليه نخلص إلى النقاط الآتية:

1-لا يمكن الحديث عن الزمن النحوي إلا بالتطرق لمفهوم الجهة، الذي يمكننا من قياس الزمن بدقة.

2-تتوفر اللغة العربية على تسع جهات للماضي و ثلاث للحال و أربع للمستقبل، و الكشف عن تلك الجهات يكون بالقرائن اللفظية و المقامية.

[111] ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 4/409-410.

3-صيغة (فعل) وضعت للدلالة على الزمن بالوضع والتغليب و من ثم فإن السياق هو الذي يحدد النقطة الزمنية الماضية لها (كالماضي البعيد، القريب، المنقطع، القريب من الحاضر...الخ).

4-يمكن أن تدل صيغة (فعل) على الزمن الحال و هذا إذا وردت في:

أ-سياق الإنشاء الإيقاعي.

ب-سياق الإعلان عن أمر و الإقرار به.

ج-سياق وصف أحوال القيامة.

5-كذلك يمكن أن تدل صيغة (فعل) على الزمن المستقبل إذا:

أ-تضمنت معنى الوعيد والوعد الذي يأتي في سياق الطلب.

ب- جاءت في سياق حكاية حال آتية.

ج- جاءت في سياق الجزاء.

6-ويمكن أيضا أن تدل (فعل) على الزمن العام و ذلك إذا:

أ-تعلق الأمر بصفات الله عز و جل و أفعاله.

ب-دلت على ظاهرة كونية متكررة.

ج-وردت في سياق الأمثال.

د-دلت صفة راسخة في النفس ثابتة فيها.

7-يمكن أن تتجرد صيغة (فعل) من الزمن و هذا عندما تعبر عن صفة أو لقب

8-تأتي صيغة(يفعل) لتدل على الزمن الماضي إذا:

أ-جاءت في سياق حكاية حال ماضية.

ب- وقعت موضع خبر كان.

ج-وقع المضارع حالا عامله فعل ماض.

د-وقوعها معطوفة على فعل ماضي لفظا و معنا.

ه-تدل كذلك على الماضي بمعية قرينة لفظية

9-تدل صيغة (يفعل) على الحال إذا خلت من القرائن و إذا أريد بها الاستقبال زيدت تلك القرائن.

10-تأتي صيغة (يفعل) مجردة من الأدوات دالة على المستقبل إذا:

ا-اقترنت بقرينة لفظية نحو: اليوم التي تدل غالبا على يوم القيامة.

ب-جاءت في سياق الدعاء و الطلب.

ج-وردت في سياق الوعد والوعيد.

د- أسندت لخبر متوقع .

ه-جاءت في سياق الحديث عن مشاهد يوم القيامة.

11-تدل صيغة (يفعل) على الزمن العام في مواضع منها:

أ-سياق ذكر صفات ملازمة لصنف من الناس.

ب-اختصت بأفعال متعلقة بذات الله سبحانه و تعالى.

ج-ورودها في سياق ذكر فضائل الله على عباده.

12-اختلف النحاة في زمن فعل الأمر منهم من رده للحال، و منهم من رده للاستقبال، و منهم من جمع الاثنين، و منهم من جرده من الزمن و جعله للطلب.

13-يمكن أن ترد صيغة الأمر في سياق ماضي دالة على حدث وقع و انتهى.

14- يمكن أن تدل صيغة الأمر على:

أ-الزمن المطلق (أي المجال من الماضي السحيق إلى المستقبل البعيد).

ب-الزمن الحال.

ج- الزمن المستقبل بنوعيه القريب و البعيد.

د-الاستمرار والدوام على أفعال كانت تحدث قبل التلفظ بالأمر.

وعليه فإن تقسيم النحاة الفعل إلى ماض و مضارع و أمر(نحاة البصرة) كان مرده للزمن الذي هو إحدى العلامات الفارقة، وأن هذا التقسيم جاء بالتغليب بمعنى؛ أن أغلب الأفعال التي جاءت على صيغة فعل تدل على الزمن الماضي رغم خروج بعضها عنه كما رأينا و كذلك الحال مع الفعل المضارع و الأمر.

الفصل الثالث

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المركبة

أولا: الصيغ الفعلية مع النواسخ

ثانيا: الصيغ الفعلية مع الأدوات

لقد رأينا سابقا في الفصل الثاني الموسوم " بالدلالة الزمنية للصيغ الفعلية الإفرادية" ما مدى تعدد الدلالات الزمنية للصيغة الواحدة، وهذا في خضم الحديث عن الزمن النحوي إذ فيه تخرج دلالة (فعل) عن الزمن الماضي إلى دلالات زمنية أخرى كالحال و الاستقبال، و الزمن العام و هذا في مواضيع سياقية تفضي إلى ذالك الخروج و كذالك الحال مع صيغة (يفعل) وصيغة (افعل) .

لكن الجدير بالذكر أن ربط النحاة القدامى صيغة(فعل)بالزمن الماضي، وصيغة(يفعل) بالزمن الحاضر و صيغة(افعل) بالزمن المستقبل، كان من باب التغليب إذ إن أغلب الصيغ الفعلية المجردة من القرائن اللفظية و الحالية جاءت عن هذه الشاكلة، و ما شذ عن ذالك فهو يكمن في ظل الحكم النسبي لا المطلق.

ومن ثم فإننا في هذا الفصل سنتطرق للدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المسبوقة بالقرائن اللفظية و التي نقسمها إلى، نواسخ و أدوات .

إذ بعد أن تحدثنا عن الصيغ الفعلية الخالية من الأدوات، و رأينا ما مدى قدرتها على الدلالة على جهات زمنية متعددة كالماضي القريب من الحاضر و الماضي البعيد و المطلق و الزمن المستمر و المنقطع والمتجدد... و هذا بعون السياق القرآني الذي ترد فيه الصيغة، إذ به يتم التدقيق في الجهة الزمنية للصيغة المفردة .

وبعبارة أخرى، يقوم السياق القرآني بنقل الزمن الصرفي للصيغة المفردة إلى زمن نحوي يزيدها أكثر وضوحا ودقة وهذا بمعية قرائن لفظية و مقامية.

سنبدأ فيما يلي بالكلام عن النواسخ و عن قدرتها على التضام مع الصيغ الفعلية لتعطينا تركيبا جديدا وجهة زمنية جديدة .

أولا: الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ

قبل الخوض في الحديث عن الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ نقف و لو للحظة مع هذه النواسخ لكي نعرّفها و نعرف لما سميت كذالك .

النواسخ أربعة أنواع وهي: كان وأخواتها، و كاد وأخوتها، و إنّ وإخوتها، و ظننت و أخواتها، و ما ألحق بذلك و سميت بالنواسخ لأنها تنسخ حكم الابتداء من الجملة الاسمية المتكونة من المبتدأ و الخبر[1]، فيصير المبتدأ مرفوعا بها و يصبح الخبر مرفوعا بها قبل أن كان المبتدأ مرفوعا بالابتداء. ويعزز هذا القول ما جاء به أبو علي الفارسي (388 هـ) في كتابه الإيضاح العضدي حين يقول : " فأما كان و صار و أصبح و أمسى و ظل وبات و أضحى و ما انفك ومازال و مادام و ما برح و ما فتى وليس فإنها تدخل على الابتداء و الخبر فيصير ما كان مرتفعا بالابتداء قبل دخول هذه الأشياء عليه مرتفعا بكان، و ما كان مرتفعا بأنه خبر مبتدأ منتصبا بأنه خبر كان وذلك قولك :كان عبد الله ذاهبا ... و مازال أخوك كريما ." [2]

و النواسخ نوعان: نواسخ فعلية نحو: كان وأخوتها و كاد وأخوتها ...

و نواسخ حرفية مثل: إن و أخوتها

أما النواسخ الفعلية فهي التي سمّاها النحويون الأفعال الناقصة، و سميت كذالك لأنها لا تتم بالمرفوع كلاما، بل المرفوع مع النصوب بخلاف الأفعال التامة فإنها تتم كلاما بالمرفوع دون المنصوب. [3]

---

[1] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،352/1.

[2] أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، تح: حسن شاذلي فرهور، كلية الاداب، جامعة الرياض السعودية، ط1،1389هـ- 1969م، 95/1-98.

[3] الاستربادي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح و تعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قانون يونس، بنغازي، ط2، 1996،181/4.

و هناك من يرى أنها ليست أفعالا حقيقية؛ بمعنى أنها سُلبت الدلالة على الحدث وبقيت تدل على الزمن فقط، ومثال ذلك إذا قلت :كان زيد قائما، كان بمنزله قولك قام زيد، فلما سلبت هذه الأفعال الدلالة على الحدث عوّضت الخبر؛ لأن كان ويكون يدل على الزمان فقط، فلا تحصل الفائدة إلا بعد الإتيان بالخبر. [4]

فنقصان هذه الأفعال يتمثل في كونها غير قادرة على إعطاء جملة يحسن السكوت عليها دون اللجوء إلى الخبر الذي يتم تلك الفائدة المرجوة منها .

لكن يوجد من علماء العربية المحدثين من ينكر هذه التسمية (الأفعال الناقصة)، وينعتها بالاعتباطية، منهم إبراهيم فاضل السامرائي الذي يقول:" ويبدو من هذا العرض أن مصطلح "الناقصة" لهذه الأفعال غير صحيح و إنما هي تسمية اعتباطية كما تدل على ذلك الآراء المختلفة التي قال بها الأقدمون للوصول إلى هذه التسمية).[5]

وفي المقابل من علماء العربية المحدثين، من ينفي عنها الحدث و الفعلية ويعتبرها أدوات محولة عن الفعلية لتفيذ جهة في الزمان و نذكر على سبيل المثال: تمام حسان الذي يقول:" ومن هذا نرى أن جميعها يفيد الزمن و لا يفيد واحدا منها الحدث و إن جميعها إلا كان يضيف إلى معنى الزمن أحد معاني الجهة).[6]

أما من الناحية الثانية فيمكن أن نستعمل هذه الأفعال تامة، أي؛ مستغنية بمرفوعها عن منصوبها، و هذا إذا استعملت بمعنى (فعل لازم)، من مثل مجيء كان بمعنى حصل نحو قوله تعالى:(وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ (البقرة 280/1)،أي؛و إن حصل ذو عسرة و أمسى بمعنى دخل في المساء، و أصبح بمعنى دخل في الصباح، نحو قوله تعالى:

---

[4] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة، العراق، (د ط)،1982،398/1.

[5] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص56.

[6] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص130.

(فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾) (الروم17/30)، أي ؛ حين تدخلون في المساء، وحين تدخلون في الصباح، ودام بمعنى بقية نحو قوله تعالى: (خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾) (هود107/11)، أي ما بقيت...[7]

وقد جعل النحاة (كان) هي أم الباب لاختصاصها بأمور لا تكون لأخواتها نذكر منها جواز زيادتها بشرطين؛ أحدهما: كونها بلفظ الماضي لتعيين الزمان فيه دون المضارع و الشرط الأخر كونها بين شيئين متلازمين ليسا جارا و مجرورا، وبالإضافة إلى ذلك أنها تحذف و يقع ذلك الحذف على أربعة أوجه : إحداهما و هو الأكثر أن تحذف مع اسمها ضميرا كان أو ظاهرا و يبقى الخبر دالا عليها، و يكثر ذلك مع إن و لو الشرطيتين مثل: سر مسرعا إن راكبا و إن ماشيا، أي؛ إن كنت راكبا و إن كنت ماشيا .

و الوجه الثاني أن تحذف (كان) مع خبرها و يبقى الاسم : و لو تمر، وإن خير

و الوجه الثالث أن تحذف وحدها و يبقى اسمها و خبرها: أما أنت منطلقا انطلقت و الأصل في انطلقت : لأن كنت منطلقا ثم قُدمت اللام، فالوجه الرابع أن تحذف كان مع معموليها جميعا و ذلك بعد أن الشرطية نحو قولهم : افعل هذا إما لا، أي؛ إن كنت لا تفعل غيره، و من الأمور المتخصصة بـــــ كان أن لام مضارعها و هي النون يجوز حذفها تخفيفا، وصلا لا وقفا. [8]

---

[7] ينظر: الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، تح محمد باسل عيون السرد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1421هـ-2000م،249/1.

[8] ينظر: المرجع نفسه، 251/1-261.

فهذه بعض ما تختص به كان عن أخواتها التي وضعتها في أم الباب، أما بخصوص الدلالة الزمنية فنجدها تدل على الزمن الماضي عند غالبية النحاة فإذا قلت: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة و أدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى.[9]

بمعنى أن كان دلّت أن الخبر ثبت وقوعه في الزمن الماضي،ومن أمثلة دلالة كان على الزمن الماضى في القرآن الكريم نذكر قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿٨٢﴾﴾ (سورة الكهف 79/18-82)، حيث جاءت كان الواردة في الآيات دالة على الزمن الماضي لفظا ومعنى، و هذا لورودها في سياق قصصي[10]، أوّله: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة الكهف60/18)، ومن الأمثلة التي تدل كان فيها على الزمن الماضي في القرآن الكريم نذكر كذالك :﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف111/12)، أيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران164/3)، أيضا قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ

[9] ينظر: المبرد، المقتضب، 86/4.

[10] ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص205.

كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧) (يوسف 7/12)، أيضا قوله تعالى: (قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۝٤) (الممتحنة4/60)

1-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة – كان فعل-:

يقصد بالصيغة المركبة هي تضام كان أو إحدى أخواتها مع صيغة (فعل) أو إحدى مشتقاتها، لنخرج بتركيب جديد ليست فيه دلالة كان منفصلة عن دلالة (فعل) أو العكس،إذ الاثنان يتحولان إلى صيغة واحدة مركبة تعبر عن زمان خاص، إذ إن كان تنفرد بالدخول على صيغة (فعل) في أشكالها التصريفية المختلفة على مثال (فعل) بينما باقي أخواتها لا يدخل على مثال (فعل) إلا و هن على مثال (يفعل).[11]

و يمثل التركيب (كان فعل) جملة الماضي البعيد؛ و هو الذي يحدث في زمن بعيد و تقطع صلته بالحاضر، و هذا الماضي قد تمتد فترته لزمن طويل أو قصير و قد يعبر أحيانا عن جملة الزمن في الماضي نحو قولك: كان أُرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافة . وتوكيد هذا الزمن بـــ(لقد كان فعل) و نفيه بـــ(لم يكن فعل) واستفهامه (هل كان فعل ؟)، ففي الجملة الخبرية المؤكدة و الجملة المثبتة لا فرق بينهما من حيث الزمن. أما الجملة الخبرية الماضوية المنفية فإن الغالب فيها هو استعمال المضارع للدلالة على المُضي، إلا مع الأداة (ما) فإنها تستعمل للنفي مع الصيغة (فعل). [12]

---

[11] ينظر: محمد عبد الرحمان الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني، ص57.

[12] ينظر: علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية و الدار الثقافة، عمان، الأردن، ط1،2002، ص51-52.

ومن هذا كله نخلص إلا أن القرائن لها دور كبير في تحميل الصيغة الصرفية الزمن المراد في السياق، و يتضح ذلك في الجملة الاستفهامية و المنفية، إذ إن الأدوات المضامة للصيغة تحدد بدقة الجهة الزمنية للصيغة الصرفية.

و في سياق متصل لا ضير أن ننوه أن هناك من أنكر مجيء خبر كان فعلا ماضيا لأن مضي أحد الفعلين يغني عن الآخر و من هؤلاء ابن يعيش الذي يقول: "لا يحسن وقوع الفعل الماضي في أخبار كان وأخوتها لأن أحد الفعلين يغني عن الآخر" [13]

لكن هذا رأي مردود على حد قول فاضل صالح السامرائي الذي يقول:" و هذا مردود فقد ورد في القرآن الكريم ذلك في شرط و غيره." [14]

و من الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم على شكل صيغة المركبة (كان فعل) قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدتُّنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾(يوسف12/26-27).

وقوله أيضا: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ (المائدة 116/5).

وقوله:(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ٣٥) (الأنعام 35/6). جاء في البحر المحيط عن أبي عباس المبرد بأنه زعم أن (إن) إذا دخلت على (كان) بقيت على مضيها بلا تأويل بخلاف الجمهور[15] وقوله: (وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ

[13] ابن يعيش، شرح المفصل،97/7.

[14] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو ، 211/1.

[15] ينظر: أبو حيان الأندلسي، بحر المحيط، 118/4.

لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَـٰرَۚ ﴿١٥﴾) (الأحزاب15/33)، و قوله:(وَحَمَلۡنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾)، (القمر54/ 13-14)، فهذه الأفعال الماضية جاءت خبرا لكان تدل على أن الأمر حصل مرة واحدة بشرط أن يكون وصفا ثابتا فثمة فرق بين قولنا على سبيل المثال : كان محمد كاتبا، وقولنا : كان محمد كتب في الأمر، فالأول وصف دائم، والثاني لمن قام بالفعل مرة واحدة.[16]

والمحصلة مما سبق أن التركيب (كان) التي تدل على الماضي مع صيغة (فعل) التي تدل كذالك على الماضي بنسب متعددة تعطي، لنا تركيب يدل على الزمن الماضي البعيد المنقطع .[17]

2-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة -كان يفعل-

مما لا شك فيه أن الدلالة الزمنية للفعل الناقص كان هي الزمن الماضي و هذا كما قال الفراء في كتابه معاني القرآن: " كان خلقت للماضي" [18]

و على الرغم أن دلالة الفعل المضارع المُضام لها يدل على الحال والاستقبال كما قال جمهور النحاة إلا أن (كان) تصرفه للماضي و يدل التركيب على أن الحدث كان مستمرا في زمان ماض."[19]

بمعنى أن (كان) عندما تدخل على الفعل المضارع فإنها تستعمل للتعبير على استمرار الحدث في فترة من الزمان الماضي، نحو: كان سيبويه يختلف إلى مجلس الخليل بن أحمد، و كقول جرير في رثاء الفرزدق:

فَتى عَاشَ بينَ المجدِ تسعينَ حجةً وكانَ إلى الخيراتِ والمجدِ يرتقِي.

---

[16] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 1/ 211.

[17] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 245.

[18] الفراء، معاني القرآن، 108/1.

[19] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، ص33.

ويتم مثل هذه الدلالة أيضا مع (أمسى، بات، أصبح، ظل) بدلا من(كان) نحو: أمسى المطر ينهمر، و بات الأسد يزأر، و أصبح الجو ينذر بالعاصفة، و ظل القطار يسير في الصحراء . ونفيه (لم يكن يفعل) نحو: لم يكن الفراء يختلف إلى مجلس يونس بن حبيب.[20] ومن الأمثلة التي جاءت على نحو الصيغة المركبة(كان يفعل) في القرآن الكريم قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾) (البقرة10/2) و قوله: (كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾) (المائدة79/5) وقوله:(وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾) (سبأ 40/34)، فكل هذه الأفعال الواردة في الأمثلة القرآنية السابقة جاء فيها التركيب (كان يفعل) دالا على استمرار الحدث في الزمن الماضي و هذا بحسب السياق القرآني الذي وردت فيه إذ به تحدد درجة مُضي الصيغة مع النواسخ.

3- الدلالة الزمنية للصيغة المركبة – أصبح يفعل -:

جاء في كتاب المقدمة الجزولية للجزولي (607ه) في معنى الناسخ أصبح:" أنه يدل على اقتران مضمون الجملة بالزمان الذي يشاركها في الحروف ." [21]

ويقصد بهذا أن **أصبح** تفيد اتصاف اسمها بصفة خبرها في فترة الصباح، و هي التي دل عليها بكلمة يشاركها في الحروف أي؛ اسم الزمان(الصباح)، و مثال ذلك قولنا: أصبح المطر ينهمر أي؛ انهمار المطر مقترن بالصباح في الزمن الماضي، و مثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: (فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴿١٨﴾) (سورة قصص 18/28)، جاء في التفسير الكبير قول الفخر الرازي:" اعلم أن عند موت ذلك

[20] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و التوجيه، ص158.

[21] الجزولي، المقدمة الجزولية في النحو، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، أم القرى للنشر والطبع و التوزيع، السعودية، ط1، 1408هـ - 1988م، ص 103.

الرجل من الوكز أصبح موسى عليه السلام من غد ذلك اليوم خائفا من أن يظهر هو القاتل فيطلب به." [22]

إذن، فالناسخ أصبح وضع لاتصاف المخبر عنه بالخبر في وقت الإصباح، و هي بذلك تدل على استمرار الحدث في وقت محدد ألا و هو الصباح، ذلك لأن الصيغة بمعناها المعجمي (أصبح) تحمل في مدلولها الانقطاع كحالة حدث، فإذا ضامت يفعل فإن المركب (أصبح يفعل) يدل على الماضي المستمر المتجدد...[23]

أما عن مجيء (أصبح) زائدة لا تعمل شيئا في المبتدأ أو الخبر، فهذا قليل و يتضح ذلك جليا في قول ابن عصفور: " فأما زيادتهم أمسى و أصبح في قولهم: ما أصبح أبردها وما أمسى أدفأها، فشاذة). [24]

و ما يجدر بنا ذكره هو أن مجيء أصبح وهي ناقصة في القرآن الكريم يكاد ينعدم إلا في بعض الاستعمالات إذ إنها في معظم حالاتها تأتي في الدلالة على التحول، و التحول فقط من غير إشارة إلى وقت الصباح [25]، ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾) (آل عمران103/3)، و قوله: (فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ (الصف14/61).

و قوله أيضا: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴿١٠﴾) (القصص10/28).

4-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة – ظل يفعل-

---

[22] الرازي، التفسير الكبير، 236/4.

[23] محمد عبد الرحمن الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني، ص112.

[24] ابن عصفور، المقرب، تح:" أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، مكتبة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1392هـ، 1972م،92/1.

[25] كمال رشيد، الزمن النحوي، ص162.

جاء في كتاب التوضيح و التكميل لشرح ابن عقيل معنى (ظل) اتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا [26] أي؛ اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا يتحقق طوال النهار يكون من الصبح إلى المساء، ومنه فإن المركب (ظل يفعل) يدل على الماضي المستمر و بفعل السوابق يتبين فيه الانقطاع والاتصال بالإضافة إلى الجهة من قرب أو بعد و يتضح ذلك بفعل علاقات السياق.[27]

ومن الأمثلة التى جاءت (ظل يفعل) في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤) (الحجر14/15)، جاء في الكشاف أنه ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون. [28]

فهنا جاءت (ظلوا) لاستغراق فترة النهار، ومن ناحية أخرى قد تأتي ظل بمعنى صار أي تحول من هيئة إلى هيئة أخرى، و هذا يتضح جليا في قوله تعالى: (وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١) (الروم51/30)، جاء في شرح هذه الآية أن(ظل) هنا بمعنى صار، والإتيان بفعل التصير مع الإخبار عنه بالمضارع لتصوير مبادرتهم إلى الكفر ثم استمرارهم عليه و الحاصل أن المعنى أنه يغلب الكفر على أحوالهم. [29]

ومثال مجيء ظل بمعنى صار في القرآن الكريم، نذكر أيضا قوله تعالى: (لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥) (الواقعة 65/56)، جاء في تفسير

---

[26] محمد عبد العزيز النجار، التوضيح و تكميل لشرح ابن عقيل، مكتبة ابن تيمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ-2003م، 218/1.

[27] محمد عبد الرحمان الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني، ص110.

[28] الزمخشري، الكشاف، 3 /404.

[29] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 21/ 125.

التحرير و التنوير أن الفعل (ظلتم) هنا بمعنى صرتم وعلى هذا حمله جميع المفسرين،[30]

ففي المثالين السابقين لم تأت ظل بمعناها الحقيقي التي وضعت له ألا و هو استغراق الوقت من الصباح إلى المساء (طول النهار)، بل خرجت عن هذا إلى بمعنى صار أي؛ التحول من حالة إلى أخرى مغايرة لها.

5- الدلالة الزمنية للصيغة المركبة -مازال يفعل- وأخوتها :

قال السيوطي : " و أربعة شرطُها تقدم نفي أو شبهه وهو النهي و الدعاء وهي : زال ماضي يزال، و انفك، و برح، و فتئ، والأربعة بمعنى واحد باتفاق النحويين، سواء كان النفي بحرف أو فعل أو اسم، وسواء كان النفي ملفوظا به أو مقدم كقوله:

(قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾) (يوسف 85/12)، أي؛ لا تفتأ ... ثم إن مازال و أخواتها تدل على ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلا لها على حسب ما قبلها فإن كان قبلها متصلة الزمان دامت له كذلك وإن كان قبلها في أوقات دامت له كذلك." [31]

و معنى قول السيوطي أن الصيغ الأربعة لمازال و أخواتها تدل على معنى واحد وهو استمرار الحدث إلى وقت الكلام أو بعده سواء كان الصفة تحدث مرة أو مرات عديدة متصلة، فالمعنى واحد بعد زمن التكلم وهو الاستمرار و الديمومة و هذا ما يؤكده الرضي في قولة: " وكذا مازال و أخواتها موضوعة لاستمرار مضمون أخبارها في الماضي إلاّ أن تمنع قرنية، و ما يصلح للاستمرار هو الاسم الجامد أو الصفة أو الفعل المضارع و تناسب الأشياء الثلاثة – لصلاحيتها الاستمرار- أن تقع أخبار لصار

[30] المرجع نفسه ،322/27 .

[31] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 354/1- 356 .

ومازال و أخواتها بخلاف الماضي فإنه لا يستعمل في الاستمرار استعمال هذه الثلاثة فلم يقع خبرا لهذه الأفعال. [32]

ويقصد الرضي بالجملة الأخيرة هنا بأنه لا يمكن أن يقع خبر مازال و أخواتها جملة فعلية فعلها ماض؛ لأن الماضي يدل على الانقطاع و هي تدل على الاستمرار و الديمومة فهما لا يلتقيان.

و أما بخصوص الأمثلة التي جاءت على نحو صيغة (مازال يفعل) وأخواتها في القرآن الكريم نذكر قوله سبحانه و تعالى: (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ ﴿١٣﴾) (المائدة 13/5)، جاء في شرح هذه الآية انتقال من ذكر نقضهم لعهد الله إلى خيسهم بعهدهم مع النبي –صلى الله عليه و سلم– و فعل لا تزال يدل على الاستمرار؛ لأن المضارع للدلالة على استمرار الفعل (...) ، أي؛ لا يزالون يخونون فتطلع على خيانتهم، و المعنى لا تزال تكشف و تشاهد خيانة منهم .[33]

ومن القرآن الكريم قوله: (قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾) (يوسف 85/12)، جاء في تفسير القرطبي قوله :" قال له ولده " تالله تفتأ تذكر يوسف " قال الكسائي: فَتأْت و فُتئْتُ أفعل ذلك أي؛ مازلت، و زعم الفراء أن لا مضمرة، أي؛ لا تفتأ ، و أنشد:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي.

أي؛ لا أبرح، قال النحاس: والذي قال حسن صحيح، وزعم الخليل و سيبوية أن (لا) تضمر في القسم، لأنه ليس فيه إشكال و إن كان واجبا لكان باللام و النون، و إنما قالوا له ذلك لأنهم علموا باليقين أنه يداوم على ذلك. [34]

---

[32] ينظر، الإستراباذي، شرح الرضي على الكافية ، 2 /144.

[33] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 144/6.

[34] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11/ 432 .

فهنا جاء التركيب (تفتأ تذكر) للدلالة على استمرار الحدث (الذكر) وديمومتة.

و منه كذلك قوله عز وجل: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَـٰعُواْۚ ﴿٢١٧﴾) (البقرة 217/2)، جاء في التفسير الكبير أن مازال يفعل كذا، ولازال يفعل كذا قال الواحدي: "هذا فعل لا مصدر له و لا يقال منه فاعل و لا مفعول و مثاله في الأفعال كثيرة نحو (عسى) ليس له مصدر و لا مضارع كذلك و كذلك: ذو و ما فتئ، و هلم، و هاك و هات، وتعالى، ومعنى (لا يزالون)، أي؛ يدومون على ذلك الفعل لأن الزوال يفيد النفي فإذا أدخلت عليه ما كان ذلك نفيا للنفي فيكون ذلك دليلا على الثبوت الدائم . [35]

أي؛ أن (لا يزالون يقاتلونكم) أفادت الاستمرار والدوام على رغم من التعليق الظاهري في قوله: (حتى يردوكم) وذلك لأن في قوله تعالى: (إن استطاعوا) إزالة لكل لبس يوهم بانقطاع حدث الفعل، و كثيرا ما نأتي مثل هذه الدلالات في التركيب الشرطي من ذلك قوله تعالى:(فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾) (الأنعام35/6)، إذ تدل الآية في معناها العام استبعاد الاستطاعة.[36]

فالخلاصة مما سبق (مازال يفعل) صيغة مركبة تدل هي و أخواتها على استمرار الحدث و الدوام عليه بعد زمن التكلم .

6- الدلالة الزمنية للصيغة المركبة –كاد يفعل –وأخواتها

[35] الرازي، التفسير الكبير، 37/6.

[36] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص179.

الأفعال المقاربة هي : كاد وكرب و أوشك، وضعت للدلالة على قرب الخبر. [37]

وهذه الأفعال كلها داخلة على المبتدأ والخبر كـــــــكان و أخواتها فما كان اسما لكان كان اسما لها، و أما أخبارها فلا تكون إلا أفعالا ...، ألا ترى أن معنى قولك كاد زيد يقوم قارب القيام حتى لم يبق بينه و بين الدخول فيه زمن .[38] و تستعمل كاد و أخواتها بغير (أن)، فيقال : كاد زيد يقوم و كاد عبد الله يركب، و هي لمقاربة ذات الفعل، ألا ترى أنك تقول: كاد زيد يدخل المدينة، ألا و قد شارفها و قرُب منها ...، و ربما استعملت كاد في الشعر بـــ (أن) قال : رؤبة [من الزجر]

قد كاد من الطول البلى أن يمصحا / و الأجود أن تستعمل بغير أن.[39]

و اشترطوا أن يكون الخبر فعلا لأنهم أرادوا قُرب وقوع الفعل فأتوا بلفظ الفعل ليكون أدل على الغرض، و جرّد ذلك الفعل من (أن) لأنهم أرادوا قُرب وقوعه في الحال و أن تصرف الكلام إلى الاستقبال فلم يأتوا بها لتدافع المعنيين، و كما كان الخبر فعلا محضا مجردا من (أن)، قدّروه باسم الفاعل لأن الفعل يقع في الخبر موقع اسم الفاعل، نحو: زيد يقوم و المراد قائم. [40]

أما بخصوص نفي كاد فقد قيل فيه كلام كثير نختصره في النقاط التالية:

أ-فريق ذهب إلى أن نفي كاد نفي للفعل و القرب من الفعل، و منهم المبرد الذي يبين ذلك عند شرحه للآية الكريمة: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا

---

[37] الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، حاشية الصبان، تح: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوقيفية، أمام الباب الأخضر، سيدنا حسين، (د ط)، (د ت)،405/1.

[38] ابن عصفور، المقرب، 99/1.

[39] ينظر: الزجاجي، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ-1984م، ص201-202.

[40] ابن يعيش، شرح المفصل، 119/7 .

فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾) (النور 40/24).أي؛ " لم يقرب من رؤيتها، و إيضاحه، لم يرها و لم يكد "[41].و مثل هذا قال به الزمخشري و الأشموني .

و أورد الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز سبب هذه الشبهة بين النحويين المفسرين، إذ يقول: " و اعلم أن سبب الشبهة في ذلك أنه قد جرى في العرف أن يقال : ما كاد يفعل، ولم يكد يفعل، في فعل قد فعل على معنى أنه لم يفعل إلا بعد الجهد و بعد أن كان بعيدا في الظن أن يفعله كقوله تعالى : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾) (البقرة71/1). [42]

ب- أما الفريق الثاني فيرى أن نفي (ما كان يفعل) معناه أنه فعله بعد جهد، ونذكر من هؤلاء ابن يعيش، الذي يقول في شرح الآية الكريمة : "(و لم يكد يراها) و(...) و الذي أراه أن المعنى أنه يراها بعد اجتهاد و يأس من رؤيتها (...) كأنك قلت إذا أخرج يده يكاد لا يراها، فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع ، و إذا اقترن بها حرف نفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع، هذا مقتضى اللفظ فيها، وعليه المعنى والقاطع في هذا قوله تعالى: (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾) (البقرة 71/2)، و قد فعلوا الذبح بلا ريب". [43]

ج - و فريق ثالث يجمع بين الرأيين، أي؛ جعل نفي كاد لشيء حصل أو آخر لم يحصل و هذا ما قاله الفراء في كتاب معاني القرآن، إذ أورد في شرح الآية الكريمة (يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴿١٧﴾) (ابراهيم17/14)، ما نصه : " و لا يكاد يسيغه " فهو يسيغه و العرب قد تجعل (لا يكاد) فيما قد فعل و فيما لم يفعل، فأما ما قد فعل فهو بين هنا (...) و أما ما دخلت فيه كاد و لم يفعل فقولك في الكلام: ما أتيته و

---

[41] المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2،1412هـ،1992م، 1/ 252.

[42] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1428هـ- 2007م، ص278.

[43] ابن يعيش، شرح المفصل، 7/124-125.

لا كدت و قول الله عز وجل في النور : (إذا أخرج يده لم يكد يراها) فهذا عندنا – والله أعلم – أنه لا يراها، و قد قال ذلك بعض الفقهاء، لأنها لا ترى فيما هو دون هذا من الظلمات فكيف بظلمات قد وصفت بأشد الوصف.[44]

وفي خضم هذه الآراء نجد فاضل صالح السامرائي قد رجح رأي ابن يعيش، واستدل بقول الله عز وجل: (أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾) (الزخرف52/43)، موضحا أن هذا الكلام على لسان فرعون في موسى عليه السلام ولا شك أن موسى كان يبن بدلالة المحاجات المتعددة الذي يذكرها القرآن مع فرعون، ولو ذهبنا إلى الرأي الأول لكان عليه السلام أبكم لا يبين و لا يقارب الإبانة، واستدل أيضا بقوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾) (الكهف 93/18)، وقوله أيضا : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾) (البقرة 71/2)، و لكنه عاد و أقر بإمكانية الجمع بين الرأيين مع بقاء الأصل للرأي الذي ذهب إليه و هذا في الآيتين :(إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۖ ﴿٤٠﴾ (النور 40/24)، و قوله : (يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥۖ ﴿١٧﴾) (إبراهيم 17/14) فقد حمّل السامرائي هاتين الآيتين الوجهين معا.[45]

وأما الدلالة الزمنية لصيغة المركبة (كاد يفعل) و نظيراتها فإن لها زمنان:

أحدهما: زمن خارجي عام يدل على المراحل الزمنية كالماضي القريب و البعيد و كذالك المستقبل القريب و البعيد...[46]، ومن أمثلته في القرآن الكريم نذكر قوله

---

[44] الفراء، معاني القرآن، 2/71–72.

[45] ينظر، فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 1/279.

[46] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص187.

تعالى: (إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾) (طه15/20)، وقوله: تَكَادُ (تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾) (الملك08/67)، و قوله أيضا: (فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾) (النساء 78/4)، وآخر زمن داخلي خاص يدل على قرب وقوع الفعل، لكنه لم يحدث سواء كان ذلك الحدث في الماضي القريب أم البعيد،[47] ومن الأمثلة التي جاءت دالة على هذا الزمن نذكر قوله تعالى : (وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴿٧٣﴾) (الإسراء 73/17)

جاء في البحر المحيط معنى ليفتنوك، ليخدعوك و ذلك في ظنهم لا أنهم قاربوا ذلك إذ هو معصوم عليه السلام أن يقاربوا فتنه عما أوحى الله إليه. [48]

ومنها قوله: (قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾) (الصافات56/37).

ومنها كذلك: (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴿٤٢﴾) (الفرقان 42/25) و منه فإن كاد لا يكون خبرها إلا فعلا مضارعا تدل معه على قرب وقوع الهدف، ومن ثم فإن السياق القرآني الذي جاءت فيه هو الذي يحدد الزمن الذي قرب فيه وقوع الحدث بالإضافة إلى القرائن التي تستمد منها (كاد) الدلالة الزمنية .

أما بخصوص أخوات كاد : كرب، و أوشك، فلم ترد أمثلة في القرآن الكريم جاءت على شاكلتها.

7- الدلالة الزمنية للصيغة المركبة -عسى أن يفعل-

[47] علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص51.

[48] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 61/6.

أفعال الرجاء ثلاثة : عسى و حرى و اخلولق، و تدل على رجاء المتكلم الخبر في الاستقبال و تعمل عمل كان من رفع الاسم و نصب الخبر.[49] ولم يأت في القرآن الكريم من أفعال الرجاء إلا عسى إذ استعملت فعلا بصيغة الماضي جاء لحدوث الفعل في المستقبل، وتأتي عسى لطمع حصول مضمون خبرها مطلقا، سواء ترجي حصوله عن قريب أو بعد مدة مديدة، تقول عسى الله أن يدخلني الجنة، وعسى النبي –صلى الله عليه وسلم – أن يشفع لي، فإذا قلت: عسى زيد أن يخرج، فهو بمعنى لعله يخرج، ولا دنو في لعل اتفاقا.[50]

وجاء في كتاب أسرار العربية لابن الأنباري أن عسى فعل ماض من أفعال المقاربة لا يتصرف...لأنه أشبه الحرف، فإن قيل فلم أدخلت في خبره (أن) قيل: لأن (عسى) وضعت لمقارنة الاستقبال، و(أن) إذا دخلت على الفعل المضارع أخلصته للاستقبال، فلما كانت (عسى) موضوعة لمقارنة الاستقبال و(أن) تخلص المضارع للاستقبال، ألزموا الفعل الذي وضع لمقارنة الاستقبال (أن) التي هي علم الاستقبال.[51]

ومحصلة القول إن (عسى) فعل ماض لا يتصرف ولا يأتي بصيغة "يفعل" ويدل على قرب وقوع حدوث الفعل لذا جاء خبرها فعلا مضارعا مقترنا بـــ(أن) التي تصرفه للاستقبال، فالتركيب (عسى أن يفعل) دلالته الزمنية تقع في الاستقبال سواء القريب أم البعيد نحو: عسى الله أن يوفقني في مناقشة المذكرة .

و أما عن دلالتها في القرآن الكريم فستتضح بعد أن نورد بعض الآيات الكريمات من مثل قوله تعالى :(عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾) (النساء 84/4)، جاء في البحر المحيط : "(...) قال عكرمة و غيره : عسى من الله واجبا و من البشر متوقعة مرجوة، و الذين كفروا هم كفار

---

[49] ينظر: الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، 277/1.

[50] الإستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 211/4.

[51] ينظر: ابن الأنباري، أسرار العربية ، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1418هـ،1998 م، ص82–83.

قريش، و قد كف الله تعالى بأسهم" [52]، فعسى في هذا الموضع تدل على وجوب وقوع الحدث في المستقبل لأن عسى من الله واجبة كما تقدم ذكره بالإضافة إلى أن الله قد كف أيدي بأس المشركين كما ذكر أبو حيان في تفسيره .

ومن الأمثلة التي جاءت فيها عسى دالة على وقوع الخبر في الزمن القريب أو البعيد قوله عز وجل : (عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢) (القلم 32/68)، و قوله أيضا: (عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢) (القصص 22/28)، و قوله كذلك:(عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩) (الإسراء 79/17)، و قوله أيضا: (عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣) (يوسف 83/12)

ففي هذه الآية و كما نعلم جميعا في قصة سيدنا يوسف أن سيدنا يعقوب قد التقى بابنيه يوسف و أخوه بن يامين عليهما السلام، لذا فإن عسى في القرآن جاءت فعلا ماضيا لفظا يدل على وجوب وقوع الفعل إلا في موضعين،[53] أحدهما قوله تعالى : (عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨) (الإسراء08/17)، والآخر قوله تعالى:(عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ٥) (التحرير 05/66)، جاء في تفسير الآية الأولى: "وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم و قد عادوا فأعاد الله إليهم النقمة أي؛ أن الله وعد بني إسرائيل بالرحمة و بالعذاب إن عادوا و قد عادوا. [54]

---

[52] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 321/3.

[53] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص191.

[54] الزمخشري، الكشاف، 3 / 496.

وجاء في تفسير القرطبي للآية الثانية أن كل عسى في القرآن واجب إلا هذا، و قيل: و هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق و لم يطلقهن. [55]

فدلالة التركيب (عسى أن يفعل) في القرآن الكريم هو دلالة على وجوب وقوع الفعل في المستقبل القريب أو البعيد إلا في موضعين.

وعليه نجد أن بعض النواسخ التي ذكرناها- على سبيل المثال لا على سبيل الحصر – تضفي دلالات زمنية متفاوتة كل بحسب مدلولها الخاص بها فمنها ما يدل على الزمن الماضي البعيد المنقطع نحو (كان فعل)، أو استمرار الحدث في الزمن الماضي على نحو(كان يفعل)، ومنها ما يدل على الماضي المستمر المتجدد مثل (أصبح يفعل)، ومنها كذالك ما يدل على استغراق الوقت من الصباح إلى المساء و مثالها الذي يأتي على شاكلة (ظل يفعل) .

بالإضافة إلى هذا نجد أن هناك نواسخ تدل مع صيغها الفعلية المُضامة لها على استمرار الحدث و الدوام عليه حتى بعد زمن التكلم و هذا ما جاء على نحو (مازال يفعل) و أخواتها .

أما بخصوص الأفعال المقاربة، فقد رأينا أنها تدل على زمن قرب وقوع الحدث و قد رأينا كذلك كيف اختلف النحاة في دلالة نفيها كل بحسب أدلته و براهينه.

أما عن أفعال الرجاء فقد رأينا مثالا عنها ألا و هو (عسى)، التي لا تضام إلا الفعل المضارع لأن دلالتها معه هي الدلالة على وجوب وقوع الفعل في المستقبل القريب أو البعيد و هذا في القرآن إلا في موضعين كما سبق.

نخلص في الأخير إلى أن الصيغة الفعلية المجردة من النواسخ يمكن أن تدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل، لكن عندما تدخل عليها النواسخ نلاحظ أن للنواسخ دور فعال في تحديد الزمن مع الصيغة المقترنة بها و إن كنا لا نستطيع إغفال دور القرائن السياقية و المقامية في تحديد الجهة الزمنية التي يخلص إليها التركيب.

---

[55] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 90/21.

ثانيا : الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع الأدوات

1-أدوات الاستفهام: أدوات الاستفهام هي أدوات مبهمة يستعلم بها عن شيء ما و تنقسم إلى قسمين: حروف و أسماء، أما الحروف فهي الهمزة و هل، و أما الأسماء فهي: من، ما، كم، متى، أين،أي ...

أ/ همزة الاستفهام: حرف استفهام يدخل على الأسماء و الأفعال لطلب التصديق كما في: أزيد قائم ؟ أو التصور نحو: أزيد عندك أم عمرو ؟ و هي أصل أدوات الاستفهام و لأصالتها استأثرت بأمور منها، تمام التصدير بتقديمها على الفاء و الواو و ثم. [56] نحو: (أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾)(البقرة 44/2)، و قوله تعالى:(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ ﴿٩﴾) (الروم 09/30)، و قوله أيضا: (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴿٥١﴾) (يونس 51/10)، و قد كثر في القرآن الكريم الاستفهام بالهمزة وواقع الاستفهام بها على كلمات معرفة بـــ (ال) فمدت هذه الألف ليفرق بين الاستفهام والخبر،[57] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾)(يونس 59/10) وقوله: (ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾) (النمل 59/27) و قوله:

---

[56] المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـــ،1992 م، ص30.

[57] محمد أحمد خيضر، الأدوات النحوية و دلالتها في القرآن الكريم، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، مصر،(د ط) 2001، ص45.

(ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾) (يونس 91/10). جاء في همع الهوامع أن الفعل الماضي يحتمل الاستقبال و المضي، وذلك إذا وقع بعد همزة التسوية سواء كان الفعل معادلا بـــ(أم) أم لا نحو: سواء علي أي وقت جئتني، فإن كان الفعل مقرونا بـــ (لم) تعين المضي نحو : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾) (البقرة 6/2).

لأن الثاني ماض معنى فوجب مضي الأول، لأنه معادل له.[58]

وقد ذكر المرادي(724ه) عدة معان لهمزة الاستفهام منها:

1-التسوية لقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾) (البقرة 6/2).

2-التقرير: وهو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه نحو قوله تعالى: (قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾) (الأنبياء 62/21).

3-التعجب: نحو قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾) (المجادلة 14/58).

4-التهديد: نحو قوله تعالى:(وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾)(المرسلات 13/77)

ومن معاني همزة الاستفهام كذالك: الإنكار و التهكم و الاستبطاء و التنبيه.[59]

[58] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، 1/ 37- 38.

[59] ينظر: المرادي ، الجنى الداني في حروف معاني، ص32- 33.

ب/هل الاستفهامية: هل، حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور و دون التصديق السلبي، أورد صاحب المغني عشرة أوجه تفرقها عن همزة الاستفهام، ذكر منها: تخصيصها المضارع بالاستقبال نحو: هل تسافر، إذ بعد أن كان الفعل تسافر يحتمل الحال و الاستقبال، أخلصته (هل) إلى الاستقبال[60]

و قد جاءت هل الاستفهامية في القرآن الكريم مضامة للفعل الماضي و المضارع، و من أمثلة تضامها مع الفعل الماضي قوله تعالى: (وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩) (طه 09/20)، وقوله:(أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩) (ص 09/38)، وقوله: (هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤) (الذاريات 24/51)، وكذلك قوله: (قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ۝٨٩) (يوسف 89/12) . إذ نلاحظ أن الأفعال التي جاءت بعد هل ماضية لفظا و معنى حيث وردت في سياق قصصي إخباري، و لكن قد تأتي أفعال بعد هل الاستفهامية ماضية لفظا لكنها من نوع خاص هو ماضي المستقبل البعيد[61] و منه قوله تعالى: (أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ا ۝٤٤) (الأعراف44/7)، و الدليل على أن الفعل بعد "هل" في هذه الآية دل على ماضي المستقبل، هو السياق الذي وقع فيه الفعل، إذ نجد الآية التي قبله جاءت تصف حوار بين (المؤمنين) أصحاب الجنة و أصحاب النار إذ جاء فيها: (أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ) (الاعراف44/7) . جاء في البحر المحيط في تفسير هذه الآية قوله: (عبر بالماضي

[60] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 324/4– 326.

[61] ينظر : بكري عبد الكريم ، ص 303-304.

عن المستقبل لتحقيق و قوعه، [62] ومن الأمثلة التي تضام فيها (هل) الفعل المضارع قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾) (الصف 10/61)، وقوله: (إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴿٤٠﴾) (طه 40/20)، و قوله: (فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾) (طه 120/20). و قوله أيضا: (قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾)(الكهف 103/18-104) فدلالة الأفعال المضارعة بعد هل تتحد بحسب السياق الذي وضعت فيه الصيغة الفعلية المضارعة، و تأتي هل الاستفهامية بمعنى النفي و هذا ما أكده الرضي في قوله: " و تختص (هل) بحكمان دون الهمزة وهما كونها للتقرير في الإثبات كقوله تعالى: (خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾) (المطففين 26/83) أي؛ ألم يُثوب، و إفادتها إفادة النافي حتى جاز أن تجيء بعدها (إلا) قصد اللاإيجاب،[63] كقوله تعالى: (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾) (الرحمن 60/55)، ومن الأمثلة كذالك التي جاء فيها (هل) للنفي قوله تعالى: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴿٢١٠﴾) البقرة 210/2)

و قوله: (قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴿٥٩﴾) (المائدة 59/5)

[62] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 302/4.

[63] الإستراباذي، شرح الكافية، 448/4.

وقوله: (قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾) (الأنعام 47/6). وقوله كذالك: (هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾) (يونس 52/10).

و تأتي أيضا (هل) الاستفهامية بمعنى(قد)[64] ، جاء فى المقتضب: و (هل) تخرج من حد المسألة فتصير بمعنى (قد) نحو قوله تعالى: (هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾)(الإنسان 1/76).

ومن الأمثلة في القرآن الكريم التي جاءت فيها (هل) بمعنى (قد) قوله:(هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾) البروج (17/85).

وقوله: (هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾)(الغاشية 1/88).

إذن في هذه الأمثلة السابقة تأتي هل الاستفهامية بمعنى (قد)، و أما زمن الفعل الذي يأتي بعدها . سواء بمعنى (هل) أو بمعنى (قد) فيبقى على مضيه (أتاك) [65]

ج/ من: أورد صاحب الإتقان أن (من) لا تأتي إلا اسم، وعدّد حالاتها ومنها أنها تأتي استفهامية،[66] نحو قوله تعالى: (قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴿٥٢﴾) (يس52/36)، وقد وردت (من) بعدة أساليب و معاني حيث ذكر ابن هشام لها أربعة معاني،[67] حيث إن الدلالة الزمنية لـــ(من) تختلف بحسب تلك الأساليب و المعاني، إذ نلاحظ إنها تضام الفعل الماضي والمضارع، ومن أمثلة تضامها مع الفعل الماضي

[64] المبرد، المقتصب، 289/3.

[65] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص305.

[66] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو فضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد، السعودية، (د ط)، (د ت)، 249/2.

[67] ينظر: ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، 4/ 195–204.

قوله تعالى:(قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴿٩١﴾) (الأنعام91/6). وقوله: (قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴿٣٢﴾) (الأعراف 32/7). وقوله: (قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾) (الأنبياء59/21)،

وقوله أيضا(أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ﴿٦٠﴾) (النمل 60/27).

فالملاحظ على هذه الآيات أن الدلالة الزمنية لصيغة (فعل) بعد (من) الاستفهامية لا تخرج عن دلالتها الأصلية؛ و هي الدلالة على الزمن الماضي[68]، أما عن تضام(من) الاستفهامية مع الفعل المضارع، فقد ورد ذلك في القرآن الكريم، نذكر منه قوله عز وجل في محكم التنزيل: (وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾) (هود30/11). نلاحظ أن الفعل المضارع (ينصرني) جاء في سياق قصصي دلت عليه الآية الخامسة و العشرون من نفس السورة، قال تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾)(هود 25/11) إذ دل الفعل على الاستقبال إما القريب أو البعيد إذ أن سيدنا نوح عليه السلام قال لقومه من يمنعني من انتقام الله. [69] ومن الأمثلة الدالة على مجيء الفعل المضارع بعد (من) يخلص للاستقبال قوله تعالى: (يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾) (النساء 109/4)، و قوله: (فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ

[68] ينظر، محمد عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، (دط)، (دت) 283/3.

[69] ينظر: الزمخشري، الكشاف، 3/ 195.

بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴿٢٩﴾)(غافر 29/40)، أيضا قوله تعالى: (أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قَرِيبٗا ﴿٥١﴾) (الإسراء 51/17) و قوله أيضا: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾) (النمل 62/27) و قوله تعالى: (قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴿٢٤﴾) (سبأ24/34). فقد دلّ الفعل المضارع بعد (من) الاستفهامية في الآية الأخيرة على الزمن العام، [70] لأن الذي يرزق الدواب والعباد في الأرض هو الله سبحانه و تعالى إذ هو متكفل بهذا منذ وجود الأرض إلى غاية قيام الساعة.

2- أدوات الشرط: تقوم أدوات الشرط بالربط بين الشرط و الجواب، إذ تدخل على الجملة الفعلية، فتجزم فعلين مضارعين، أحدهما هو الشرط، و الثاني الجزاء، هذا على الأصل فيها و هو الكثير،[71] وحرفا الشرط هما: إن و لو.

أ/ إن الشرطية: هي أمّ أدوات الشرط[72]، لأنها تدخل في مواضع الشرط جميعها و لا تخرج عن الشرط إلى غيره، فتدخل على جملتين، فتجعل الأولى شرطا والثانية جزاء و تجعل الفعل للاستقبال، و إن كان ماضيا، إذ لا يخلو الفعلان في باب (إن) من أن يكونا مضارعين أو ماضيين أو أحدهما مضارعا و الآخر ماضيا، فإذا كانا مضارعين فليس فيهما إلا الجزم وكذلك في أحدهما إذا وقع شرطا فإذا وقع جزاء ففيه الجزم والرفع. و تأتي (إن) لعدة معان منها: الشك و الاحتمال و التمني.[73]

---

[70] ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص 308.

[71] ينظر: المقالي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1423هـ، 2002، ص 186-187.

[72] المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 208.

[73] ينظر: الزمخشري، المفصل في علم اللغة، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط2، (د ت)، ص 320-323 .

و عن مجيء (إن) الشرطية مقرونة بالشرط و جواب الشرط المضارعين، قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ﴿٢٩﴾) (الأنفال 29/8)، إذ نلاحظ أن الفعلين (تتقوا) و (يجعل) دلّا على الزمن المستقبل، حيث أن الله وعد المؤمنين إن اتقوا أن ينصرهم و يمدهم فضلا و مزية في الدنيا والآخرة [74].

و يمكن أن تقترن (إن) الشرطية بالفعل الناقص (كان) الذي هو شرطها ، و جوابها يأتي جملة مقرونة بالفاء [75]، و هذا في المواضع الآتية على سبيل المثال : (قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾) (البقرة 94/2)، و قوله أيضا(قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾) (آل عمران 31/3)، و قوله أيضا: (قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾) (الأعراف 106/7)، و الجدير بالذكر هو أن(إن) الشرطية عندما تدخل على الفعل الماضي تعطيها دلالات زمنية بحسب السياق الذي تقع فيه فتصرفه إلى الاستقبال[76]، من مثل قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ ﴿١٤٤﴾) (آل عمران 144/3). و قوله : (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾) (الأحزاب 16/33)، و قوله كذلك: (فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ ﴿١٣٧﴾) (البقرة 137/2). فصيغ الماضي في الأمثلة الأخيرة جاءت دالة على الاستقبال بعد إن الشرطية.

---

[74] الزمخشري ، الكشاف ، 575/2.

[75] محمد عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 215/3.

[76] الزمخشري ، المفصل في علم اللغة، ص320.

ب/ لو الشرطية: لقد أورد النحاة تعريفات كثيرة لـــ (لو) الشرطية منها، ما قاله ابن مالك في شرح التسهيل:" لو حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه و استلزامه لتاليه و استعمالها في المضي غالبا فلذا لم يجزم بها إلا اضطرارا ".[77]

و ذكر المقالي لها أربعة مواضع في الكلام هي:

الموضع الأول: أن تكون حرف امتناع لامتناع.

الموضع الثاني: أن تكون حرف امتناع بمنزلة (إن).

الموضع الثالث: أن تكون تمنيا بمنزلة ليت في المعنى لا في اللفظ و العمل.

الموضع الرابع: أن تكون حرف تقليل بمنزلة (رب) في المعنى. [78]

إذن (لو) حرف شرط للماضي إذ تجعل الفعل للمضي و إن كان مستقبلا، [79]، نحو قوله تعالى: (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ۝٧) (الحجرات 7/49)، جاء في التحرير و التنوير أن صيغة المضارع في قوله « لو يطيعكم» مستعملة في الماضي لأن حرف (لو) يفيد تعليق الشرط في الماضي و إنما عدل إلى صيغة المضارع، لأن المضارع صالح للدلالة على الاستمرار، أي؛ لو أطاعكم في قضية معينة و لو أطاعكم كلما رغبتم منه أو أشرتم عليه لعنتم. [80]

و منه فإن (لو) تأتي بمعنى (إن) الشرطية الدالة مع فعلها على المستقبل و هذا يتضح جليا في القران الكريم، كقوله تعالى: (وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ۝٩)(النساء 9/4)، أي؛ و ليخش الذين إن شارفوا و قاربوا أن يتركوا .[81] و قوله تعالى: (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا

---

[77] ابن مالك، شرح التسهيل، 93/4.

[78] المقالي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص358-360.

[79] الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص 320.

[80] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 235/26.

[81] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 389/3.

وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾)(يوسف 17/12) لأنهم نفوا أن يصدقهم على كل حال حتى في حالة صدقهم وهي الحالة التي ينبغي ان يصدقوا فيها[82]، و من الآيات الدالات على مصير الفعل المضارع بعد لو الشرطية إلى الزمن الماضي قوله تعالى: أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾) (الأعراف 100/7) قال أبو حيان: " نشاء بمعنى شئنا لأن (لو) التي هي لما كان سيقع لوقوع غيره ، إذا جاء بعدها المضارع صرفت معناه للمضي.[83]

و المحصلة مما سبق أن (لو)الشرطية عندما تدخل على الفعل المضارع فإنها تقلب زمنه إلى الماضي وهذا ما ذهب إليه النحاة في مصنفاتهم، و في مقابل ذلك فإنها تبقي زمن الماضي على حاله.

ج/ من الشرطية : هي اسم شرط جازم يجزم فعلين، الأول فعل الشرط و الثاني جواب الشرط، و يصلح للمذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع[84] ، و أما عن أمثلتها في القرآن الكريم ما يلي:

(وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾) (النساء 74/4) و منه أيضا: (مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ ﴿٨٥﴾) (النساء 85/04) و قوله كذلك (وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾) (الزخرف 36/43)، و عند التدقيق في مضمون الآيات نلحظ بأنها جاءت في سياق الأحكام التي أوردها الله عز و جل[85]، و التي لا تختص بفئة أو وقت معين إنما هي عامة لكل زمان و مكان لذا فإن الدلالة الزمنية تتصرف غلى الزمن العام الذي لا يختص بنقطة زمنية محددة بل في مجال زمني واسع النطاق، و ما يؤد ذلك تفسير

([82]) عبد الخالق عظيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 672/2.

([83]) ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 82/4.

([84]) الفراء، معاني القرآن، 373/2.

([85]) ينظر بكري عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم ، ص248.

الطاهر بن عاشور للآية السادسة و الثلاثين من سورة الزخرف إذ يقول: جاءت هذه الآية بهذا الحكم العام على عادة القرآن في انتهاز فرص الإرشاد[86] .

ومن الآيات الكريمات كذلك: (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾) (البقرة 229/02).

وقوله : (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾) (النساء 110/04).

و قوله : (ۖ وَمَن: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴿١٢٤﴾) (طه 124/20). جاء معنى الآية الأخيرة أن الإعراض عن هدى الله رتب اختلال حال من أعرض عن الله في الدنيا و الآخرة.[87]

و منه نفهم أن دلالة (من) الشرطية هي الزمن العام الذي لا يختص بنقطة زمنية محددة أي لا يتحدد بالماضي ولا بالحاضر ولا بالمستقبل بل يشمل الأزمنة الثلاثة.

3- أدوات النفي : يقول سيبويه في باب نفي الفعل : " إذا قال فعل: فإن نفيه لم يفعل. و إذا قال : قد فعل فإن نفيه لما يفعل. و إذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعل، لأنه كأنه قال: و الله لقد فعل فقال: والله ما فعل. و إذا قال هو يفعل، أي؛ هو في حال فعل فإن نفيه ما يفعل، و إذا قال هو يفعل و لم يكن الفعل واقعا، فنفيه لا يفعل، و إذ قال ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال: و الله ليفعلن. فقلت و الله لا يفعل. و إذا قال سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل." [88] فسيبويه في هذا الباب جمع لنا أدوات النفي و هي: لم، لما، ما، لا، لن.

---

[86] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 143/5.

[87] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 331/16.

[88] سيبويه، الكتاب، 117/3.

أ/ لم :حرف مختص بنفي المضارع، و قلب زمنه من الحال و الاستقبال إلى الماضي، و بذلك يكون الفعل بعده مضارعا في صورته و إعرابه و ماضيا في زمنه[89]، و هذا ما يتجلى بكثرة في القرآن الكريم. و على سبيل المثال نذكر قوله تعالى: (فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴿٢٥٩﴾)(البقرة 259/2).و قوله: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾) (القصص 58/2). و قوله: (قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ ﴿٤٧﴾) (آل عمران 47/3)، و قوله: (فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾) (النحل 27 /22). فالملاحظ في هذه الآيات الكريمات أنها جاءت في سياق سردي قصصي تذكر أخبار الأولين من الأنبياء و الصالحين لذا جاء الفعل المضارع المجزوم ب (لم) دالا على الزمن الماضي، ولكن في سياق متصل يجدر بنا ذكر ما ذهب إليه بعض اللغويين المحدثين، و هو أن في القرآن الكريم توجد آيات جاءت فيها لم لتجزم الفعل المضارع و تقلب زمنه إلى المستقبل البعيد و ذلك عندما تأتي الآية القرآنية في سياق ذكر مشاهد الدار الآخرة، [90] وما يحدث فيها من أحوال و أهوال من ذلك قوله تعالى : (وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾) (الأعراف 46/7)

وقوله : (وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾) (الكهف 47/18). و قوله أيضا: (فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾) (الرحمن 55 /56) و قوله: (وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾) (الكهف 53/1). فكل هذه الأمثلة السابقة جاء الفعل

[89] المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص267.

[90] بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ص283.

المضارع المجزوم بـــــــــــ (لم) دالا على المستقبل البعيد و في الآية الأخيرة تبين لنا أن لم نفت إيجاد المشركين مهربا، و هذا لإحاطة النار بهم من كل جانب [91]

ب/ لمّا: تدخل على الفعل المضارع فتجزمه و تنفيه و تقلبه ماضيا و هي تشبه (لم) في ذلك و تفارقها في أمور منها :

1) أنها لا تقترن بأداة الشرط فلا يقال: إن لما تقم.
2) أن منفيها مستمر النفي إلى الحال .
3) أن منفيها لا يكون إلا قريبا من الحال.
4) أن منفيها متوقع ثبوته بخلاف منفي (لم) نحو قوله : (لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨) (ص 8/38)، حيث أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن و أن ذوقهم له متوقع.
5) أن من فيها جائز الحذف. [92]

و ذكر المقالي ثلاثة مواضع لـــــ (لمّا)المشددة في الكلام هي:
1-أن تكون جازمة للفعل المضارع فتصير معناه للماضي.
2-أن تكون بمعنى (إلاّ) كقولك: إنْ ضربْك لمّا زيد أي؛ إلاّ زيد، قال تعالى: (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤) (الطارق 04/86) و قوله: (وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١١) (هود 111/11).
3-أن تكون حرف وجوب لوجوب نحو قولك: لمّا قمت أكرمتك، ولمّا جئتني أحسنت إليك.[93]

ومن الآيات القرآنية التي جاءت فيها (لمّا) الجازمة التي تفيد نفي الحدث في الماضي مستمرا إلى زمن الإخبار، بالإضافة إلى ذلك تعطينا معنى توقع الحدث و قرب وقوعه كقوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ

(91) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 308/13.
(92) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 477/3-483.
(93) ينظر: المقالي، رصف المباني، ص351-354.

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾) (آل عمران 142/03)، جاء في التحرير و التنوير :" أنه أريد بحالة نفي علم الله بالذين جاهدوا و الصابرين الكناية عن حالة نفي الجهاد و الصبر عنهم، لأن الله إذا علم شيئا فذلك المعلوم محقق الوقوع، [94] بمعنى أن (لمّا) عندما تختص بعلم الله فإنها محققة الوقوع. و كذلك قوله : (أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ ﴿٢١٤﴾) (البقرة 214/02)، يقول الطاهر بن عاشور: " (لما) أخت(لم) في الدلالة على نفي الفعل ولكنها مركبة من لم و ما النافية فأفادت توكيد النفي لأنها ركبت من حرفي نفي، و من هذا كان النفي بها مشعرا بأن السامع كان يترقب حصول الفعل المنفي بها فيكون النفي بها نفيا لحصول قريب و هو يشعر بأن حصول النفي بها يكون بعد مدة، و هذا الاستعمال دل عليه الاستقراء."[95]، و منه كذلك قوله عز و جل: (بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴿٣٩﴾) (يونس 39/10) و كذلك قوله: (وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾) (الجمعة 03/62)

ج/ لن: حرف ينفي الأفعال المضارعة و يخلصها للاستقبال معنى، و إن كان في اللفظ باقيا على احتماله للحال و الاستقبال فهي تنفي ما أثبت بحرف التنفيس، لأن حرف التنفيس (س) مختص بالإيجاب (و لن) مختص بالنفي. [96] و ذهب الزمخشري إلى أن (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل فإنك حينما تقول : « لا أبرح اليوم مكاني » نفيت، و إذا أردت التوكيد على ذلك قلت : "لن أبرح اليوم مكاني " [97] ، و ضرب مثالا من القرآن الكريم قوله عز و جل في محكم التنزيل : (فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾) (يوسف 80/12). و أورد

---

[94] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 106/4.

[95] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير ، 315/2.

[96] ينظر: المقالي، رصف المباني ص: 355.

[97] الزمخشري، المفصل، ص 308.

الرماني في كتابه معاني الحروف ما ذهب إليه الخليل أن أصل (لن) هو: لا أن، إلا أن الهمزة حذفت تخفيفا، فالتقى الألف والنون فحذفت لالتقاء الساكنين. [98]

و في المقابل من ذلك فإن ابن هشام في مغنيه يرى رأيا مخالفا للزمخشري، إذ يقول: " لا تفيد (لن) توكيد النفي خلافا للزمخشري في كشافه و لا تأبيده خلافا له في أنموذجه و كلاهما دعوى بدون دليل، قيل: لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في (فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾) (مريم 29/19) و لكان ذكر الأبد في : (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴿٩٥﴾) (البقرة 95/02)، تكرارا و الأصل عدمه." [99] و المغزى من هذا القول أن ابن هشام لا يرى أن لن تفيد تأبيد النفي في المستقبل على العكس من الزمخشري الذي يرى ذلك ومن الأمثلة التي تدل إلى ما ذهب إليه الزمخشري ألا و هو أن (لن) تفيد تأبيد النفي في المستقبل قوله تعالى:(وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾)، قال الزمخشري في تفسير (فلن يهتدوا) : لا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم. [100] و قوله تعالى: (قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾) (المائدة 24/05). قال الزمخشري: " لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس." [101]

لكن الأستاذ عبد الخالق عظيمة يضعّف قول الزمخشري في هذا الصدد إذ يقول : " لو كان من موضوع (لن) التأبيد لما جازت التغيية بحتى بعدها لأن التغيية لا تكون إلا حيث يكون الشيء محتملا فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية."[102] و هذا الرأي نقله عن

---

[98] الرماني، معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1401ه-1981م، ص 100.

[99] ابن هشام، مغني اللبيب، 504/3-506.

[100] الزمخشري، الكشاف، 594/3.

[101] المصدر نفسه، 221/2.

[102] عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 639/2.

أبي حيان الأندلسي في محيطه و استدل بأمثلة من القرآن الكريم و هي : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾) (البقرة 55/2) (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴿٩٢﴾) (آل عمران 92/03) . (وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴿٩٣﴾) (الإسراء 93/17).

(وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾) (البقرة 120/02).

(قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾) (طه91/20).

ففي هذه الأمثلة لا تدل (لن) على تأبيد النفي في المستقبل كما قال الزمخشري بل إن النفي هنا مرتبط بغاية لذا جاءت (حتى) لتمد النفي إلى أمد معين سواء طال أم قصر.

4-بعض الأدوات الأخرى:

أ/ إذ و إذا : قال سيبويه:" إذا فيما يستقبل بمنزلة إذ فيما مضى" [103] و قال : و أما (إذا) فلما يستقبل من الدهر" [104]، فارتبطت (إذ) بالزمن الماضي و ارتبطت (إذا) بالمستقبل، و ذهب ابن هشام إلى أن (إذ) ظرف لما مضى من الزمن و لها أربعة استعمالات :

1-أن تكون ظرفا و هو الغالب نحو:(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٤٠﴾) (التوبة 40/09).

2-أن تكون مفعولا به نحو: (وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ ﴿٨٦﴾) (الأعراف86/07).

3-أن تكون بدلا من المفعول نحو : (وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾) (مريم 16/19) .

---

[103] سيبويه، الكتاب، 229/6.

[104] المصدر نفسه، 232/4.

4-أن يكون مضافا إليها اسم زمان صالحا للاستغناء عنه نحو: يومئذ ، حينئذ. [105] و جعل المرادي (إذا) لفظا مشتركا يكون إسما و يكون حرفا، فأما إذا كانت اسما فلها أقسام و هي:

1-أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط.

2-أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان مجردة من معنى الشرط، و الماضي بعدها في معنى الشرط نحو: (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١) (النجم 01/53).

3-أن تكون ظرفا لما مضى من الزمان واقعة موقع إذ نحو: (وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ ۝١١) (الجمعة 11/62)، (فإذا) في هذا و نحوه بمعنى (إذ).

4-أن تخرج عن الظرفية فتكون اسما مجرورا بـــــــ (حتى) نحو قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا ۝٧١) (الزمر 71/39). و أما (إذا) الحرفية فقسم واحد و هي الفجائية. [106]

ومن الآيات الكريمات التي جاءت فيها (إذ) دالة على الزمن الماضي قوله تعالى : (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦) (مريم 16/19). و قوله : (۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ۝٢١) (الأحقاف 21/46).

ومنه أيضا: (وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ۝٣٠) (البقرة 30/02). و قوله أيضا:(قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ۝٥١) (يوسف 51/12)، و من جهة أخرى نجد آيات كثيرة من القرآن الكريم جاءت فيها (إذ) للزمن المستقبل فهي بمعنى (إذا) و مستعملة استعمالها [107] و هذا نحو قوله

---

[105] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 5/2-11

[106] ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 367- 373.

[107] ينظر، عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 105/1.

تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴿٢٧﴾) (الأنعام 27/06)، فالفعل وقفوا في هذه الآية جاء على صيغة الماضي دالا على الزمن المستقبل الخاص بيوم القيامة ، و إنما جاء على هذه الشاكلة لأن الشيء كائن و إن لم يكن بعد و ذلك عند الله جل ثناؤه قد كان لأن علمه به سابق و قضاءه به نافذ فهو كائن لا محالة.[108] و يمكن كذلك أن تدخل (إذ) على الفعل المضارع فتصرف زمنه للماضي و من أمثلتها الآيات التالية: (وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾) (آل عمران 44/03). وقوله تعالى: (إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾) (آل عمران 124/03). و قوله: (إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾) (الأنفال 09/08).

أما عن (إذا) الشرطية فإنها تكون كما قلنا ظرفا لما يستقبل من الزمان و قد جاءت في القرآن الكريم مضامة للفعل الماضي دالة معه على المستقبل و من أمثلتها قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴿١١﴾) (المجادلة 11/58).و قوله أيضا: (فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾) (الحاقة 13/69). و قوله: (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾) (النجم 01/53)، قال أبو حيان:" و النجم إذا هوى أي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة ." [109] بمعنى أن الفعل هوى دل على المستقبل البعيد.

و كما استعملت (إذ) بمعنى (إذا) استعملت (إذا) بمعنى (إذ) كقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ

---

[108] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 144 .

[109] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 154/8 .

كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴿١٥٦﴾) (آل عمران 156/03) . وقوله تعالى: (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴿٩٢﴾) (التوبة 92/09). لأن (لو كانوا عندنا ما ماتوا و ماقتلوا، و لا أجد ما أحملكم عليه) مقولان فيما مضى و كذا الانفضاض المشار إليه واقع أيضا فيما مضى فالموضعان صالحان لـــ(إذ) و قد قامت(إذا) مقامها.[110]

بمعنى آخر أن (إذ) و (إذا) يتبادلان الوظيفة إذ قد تدل (إذا) على الزمن الماضي كما يمكن أن تدل (إذ) على الزمن المستقبل . و بالإضافة إلى هذا يمكن أن تدل (إذا) على الزمن المستمر غير المقيد، و هذا بدليل قول الزركشي في برهانه : " أصل (إذا) الظرفية لما يستقبل من الزمان كما أن (إذ) لما مضى منه ، ثم يتوسع فيها ، فتستعمل في الفعل

المستمر في الأحوال كلها الحاضرة و الماضية، و المستقبلة و هي بذلك شقيقة الفعل المستقبل (يفعل). "[111] ومن الأمثلة القرآنية التي جاءت فيها (إذا) دالة على الزمن المستمر قوله تعالى في الآيات الكريمات:[112]

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾) (البقرة 11/02)، و قوله: (وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾) (البقرة 14/02).و قوله:

---

[110] ينظر: ابن مالك، شواهد التوضيح و التصحيح، تح: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط1 1405ه، ص 63.

[111] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، 197/4 .

[112] ينظر: عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 176/1.

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾) (الزمر 45/3). (فإذا) في هذه الأمثلة خرجت عن دلالتها الأصلية إلى الدلالة على الزمن المستمر غير المقيد بوقت مخصص.

ب /السين و سوف :

السين حرف تنفيس مختص بالمضارع، و تخلصه للاستقبال ، و ينزله منه منزلة الجزء و لم يعمل فيه على الرغم من اختصاصه به، [113] نحو قوله تعالى:(كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾) (النبأ 04/78) ، و أما أصلها ففيه خلاف بين البصريين و الكوفيين ، إذ ذهب الكوفيون إلى أن " السين" أصلها "سوف"، و ذهب البصريون إلى أنها أصل بنفسها و حجة الكوفيين في ذلك أن الكلام إذا كثر استعماله فإنه قد يحذف منه نحو:" لا أدر و لم أبل، و لم يك "، إذ الأصل فيها " لا أدري، و لم أبالي ، و لم يكن "، و أشباه ذلك، فقد حذفوا في هذه المواضع غيرها لكثرة الاستعمال ، فذلك هنا لما كثر استعمال " سوف" في كلامهم حذفوا الواو و الفاء تخفيفا، أما البصريون فقد احتجوا

[113] ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 59.

بأن كل حرف يدل على معنى لا يدخله الحذف، و أن يكون أصلا بنفسه، و السين يدل على معنى فينبغي أن يكون أصلا في نفسه .[114]

و فيما يتعلق عن مجيء حرف السين مقترن بالفعل المضارع نذكر بعض الأمثلة من القرآن و هي[115]: (قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾) (هود 43/11). (قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾) (مريم 47/19). (قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾) (يوسف 61/12).

فقد جاء الفعل المضارع المسبوق بالسين دالا على الزمن المستقبل بالنسبة لزمن القول، و يوجد الكثير من الآيات على هذه الشاكلة و لكننا ذكرنا الأمثلة السابقة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

أما سوف فحرف تنفيس، يختص بالفعل المضارع و يخلصه للاستقبال كالسين و هي أبلغ في التنفيس من السين على مذهب البصريين، و ذكر بعض النحاة أن لام الابتداء و التوكيد يدخلان على سوف و لا يدخلان على السين نحو قوله تعالى: (وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾) (الضحى 05/93). وهذا لعدم اجتماع أربع حركات أو أكثر نحو: لسيجد و لسيعلم،[116] لأن اجتماعها يحدث ثقل في الكلمة .

ومن الآيات القرآنية التي تدل فيها سوف على المستقبل البعيد نذكر ما يلي:

(وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾)(الزخرف 44/43).

---

[114] ينظر:ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 515- 516.

[115] ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، 405/4.

[116] ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 458-459.

(قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥)(الأنعام 135/6). لكن يوجد من المفسرين من يجعل زمن السين و سوف مترادفين؛ منهم الطاهر بن عاشور الذي تحدث عن (سوف) عند تفسيره لقوله تعالى :(النساء 30/04) . إذ قال: " سوف حرف يدخل على المضارع فيمحِّضه للزمن المستقبل. وهو مرادف للسين على الأصح، وقال بعض النحاة سوف تدل على مستقبل بعيد، وسماه: التسويف، وليس في الاستعمال ما يشهد هذا .[117]

وفي مواضيع أخرى يجعلها دالة على الحال وهذا عندما فسر قوله تعالى : (قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨)(يوسف 98/12) إذ قال : (سوف أستغفر لكم ربي) دلالة على أنه يلازم الاستغفار لهم في أزمنة المستقبل، ويعلم منه أنه استغفر لهم في الحال بدلالة الفحوى. ولكنه أراد أن ينبههم إلى عظم الذنب و عظمة الله تعالى و أنه سيكرر لهم الاستغفار في أزمنة مستقبلية.[118]

وهكذا نجد أن المجال الزمني لسوف لا ينحصر في المستقبل البعيد كما قال النحاة بل قد يدل على الحال كما قال ذلك المفسرون.

ج/ (لا) الناهية و النافية:

(لا) الناهية أو الطلبية كما يسميها النحويون ، وهي حرف جازم للفعل المضارع و تجعله دالا على الاستقبال و تشمل النهي و الدعاء نحو: لا تضرب زيدا و (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ ٢٨٦) (البقرة286/02). و هي أصل بنفسها خلافا لمن زعم أن أصلها لام الأمر زيد عليها ألف فانفتحت لأجلها[119]. وجزْم فعل المتكلم بها قليل جدا

---

(117) الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 5/25-26 .

(118) المرجع نفسه، 13/54 .

(119) ينظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط1، 1418ه-1998م، ص 1857-1858.

كقوله – صلى الله عليه و سلم :" لا ألفيّن أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به ". وتكون للمخاطب كقوله تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ۝١) (الممتحنة 01/60). وتكون للغائب [120] كقوله تعالى: (لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ۝٢٨) (آل عمران 48/03).

وجاءت (لا) الناهية مقترنة بالفعل المضارع جازمة له دالة على الزمن المستقبل بكثرة في القرآن الكريم منها الآيات الآتية، التي جاءت في سياق الدعاء [121]:

(وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠)(الحشر10/59).

(فَلا تُشۡمِتۡ بِىَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِى مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٥٠)(الأعراف150/07).

(رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ ۝١٩٤)(آل عمران194/03).

(رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۝٢٨٦) (البقرة286/02).

ويوجد آيات كثيرة توجه النهي إلى النبي – صلى الله عليه و سلم– والمقصود بهذا النهي أمته عليه السلام، لأنه معصوم من ملابسة هذه الأفعال.[122]

ومن هذه الآيات نذكر ما يلي:

(وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ۝٣٩)(الإسراء 39/17).

(وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٤٢)(إبراهيم 42/14).

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ ۝١٩٦) (آل عمران196/03).

---

[120] ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 445/2.

[121] عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 524/2.

[122] عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 528/2.

أمّا (لا) النافية فلها ثلاثة أقسام:

الأولى: العاملة عمل (إن) وهي (لا) نافية للجنس وعملت عمل (إن) لمشابهتها لها في التوكيد، فإن (لا) لتوكيد النفي، و(إن) لتوكيد الثبات.

والثانية: العاملة عمل (ليس) ولا تعمل إلا في النكرة.

والثالثة: النافية غير العاملة.

وقد تدخل (لا) النافية على الماضي قليلا[123]، نحو قوله تعالى: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾)(القيامة 31/75) وقوله: (فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾) (البلد 11/90). ويخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك، وهذا لصحة قولك : (جاء زيد لا يتكلم) بالاتفاق،مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تصدر بدليل الاستقبال ، بمعنى أن جملة (لا يتكلم) حالية من زيد ولا تكون للاستقبال ، لأن جملة الحال لا يدخل عليها أداة من أدوات الاستقبال ما يدل على أن المعنى في (لا) و ما بعدها لا استقبال فيه، وبذلك يبطل ما ذهبوا إليه من أثر (لا) على المضارع. [124]

وقد جاءت آيات كثيرة من القرآن الكريم نجد (لا) ليست لنفي المستقبل و إنما لنفي الحال نذكر منها بعض الآيات[125]:

(أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾)(الطور 36/52).

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾) (الحجرات 4/49)

(وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾)(ص 62/38).

---

[123] ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 290-295.

[124] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 3/314-315

[125] ينظر : عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 2/563-564.

أما عن دلالتها الأصلية التي يتفق عليها أغلب النحاة وهي الدلالة على الاستقبال نذكر على سبيل المثال ما يلي: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾) (البقرة 123/02)، ففي الآية الكريمة نجد أن دلالة الأفعال المضارعة المسبوقة بـــــــــــــ (لا) النافية جاءت للمستقبل، والدليل على ذلك القرينة اللفظية (اليوم) والتي رأينا في ما سبق أن القصد منها يوم القيامة وهذا في السياق القرآني[126].

فمجمل القول أن النواسخ تضفي دلالات زمنية خاصة في النص القرآني كل بحسب مدلولها الخاص فمنها ما يدل على الزمن الماضي البعيد المنقطع نحو (كان فعل) أو استمرار الحدث في الزمن الماضي على نحو (كان يفعل)، ومنها ما يدل على الماضي المستمر المتجدد من مثل (أصبح يفعل).

– تدل أفعال المقاربة على قرب وقوع الحدث في الحال ، ومن ثم تطرقنا إلى نفي كاد حيث نظر إليها النحاة كل بحسب رأيه حيث انقسموا إلى ثلاث فرق : فريق يراها لنفي الفعل والقرب من الفعل و فريق ثاني جعل نفي (كاد) لنفي القرب الذي يدل على وقوع الفعل لكن بعد جهد وفريق ثالث يجعله للحاصل و غير الحاصل.

– لا تقترن (عسى) إلا بالفعل المضارع و تدل معه على وجوب وقوع الفعل في المستقبل القريب أو البعيد هذا في العموم، لكن استثني القرآن الكريم موضعان –كما رأينا– لم تدل فيهما (عسى)على الدلالة الأصلية لها.

– تلعب النواسخ دورا كبيرا في تحديد زمن الصيغة الفعلية المضامة لها، و تخلصها للجهة الزمنية المحددة لها بحسب السياق القرآني الذي تقع فيه.

– الأدوات المجاورة للصيغ الفعلية يمكن أن تغير زمن الأفعال فتخلص الماضي للمستقبل (لو) وتخلص المضارع للماضي (لم).

– يمكن للأدوات أن تتبادل الوظائف فتدل (إذ) التي وضعت للمضي على الاستقبال وتدل (إذا) التي وضعت للاستقبال على المضي ، كذلك الحال مع (لو) التي تفيد تعليق

(126) ينظر، المبحث الثاني من الفصل الثاني.

الشرط في الماضي يمكن أن تأتي بمعنى (إن) الشرطية التي تخلص الفعل الذي بعدها إلى المستقبل .

– يمكن أن تأتي همزة الاستفهام بمعنى التسوية، فيحتمل الفعل بعدها المضي أو الاستقبال في حين يمكن أن تدل (هل) الاستفهامية على زمن من نوع خاص ألا وهو ماضي المستقبل البعيد، أما (من) إذا جاءت للاستفهام و اختصت بأفعال الله سبحانه وتعالى فإنها تدل على الزمن العام.

– أما بخصوص أدوات النفي فقد رأينا كيف يمكن أن تدخل (لم)على الفعل المضارع وتقلب زمنه إلى المستقبل البعيد على غير ما اتفق عليه النحاة وهذا إذا جاءت في سياق ذكر مشاهد اليوم الآخر.

ومنه نخلص إلى أن الوحدات اللغوية المقترنة بالأفعال – نواسخ أو أدوات – تضفي دلالات زمنية خاصة في الأسلوب القرآني، وهذا بحسب السياقات التي تقع فيها و القرائن المصاحبة لها.

الخـــــــاتمة

مما تمّ عرضه يمكن أن نستشف جملة من النتائج، لعل أبرزها ما يلي:

– لم يكن مصطلح الزمن شائعا في التراث اللغوي القديم، إذ كان دائما ما يرتبط بالزمان عند النحاة القدامى وهذا لانطلاقها من مادة لغوية واحدة.

– فرق المحدثون بين الزمن و الزمان، إذ ربطوا الأول بالصيغ و التراكيب (الزمن النحوي)، بينما ارتبط الثاني بالوقت وقياساته (الزمن الفلسفي).

– النحاة القدامى وإن لم يفردوا للزمن بابا مستقلا بذاته، إلا أنهم تحدثوا عنه في أبواب متفرقة كباب أقسام الكلم و النواسخ و النواصب و الجوازم ...

– لقد تطرق النحاة القدامى للزمن النحوي وهذا عندما أدركوا ما كان للسياق من دور في تحديد الزمن، بالإضافة إلى القرائن اللفظية التي تعين على تحديد جهاته.

– انقسم المحدثون في نظرتهم إلى دراسة القدامى إلى الزمن ثلاثة أقسام:

قسم انطلقت نظرته من خلال تأثره بآراء الغربيين، حيث رأى أن النحاة القدامى قد تأثروا بالفلسفة و المنطق، فترتب عنه تخصيص كل صيغة بزمن معين، وقسم آخر مخالف للأول، إذ نجده يثني على النحاة القدامى ويرد على آراء الغربيين القادحين فيهم، وقسم ثالث نراه تارة يعيب عليهم عكوفهم على مسألة العمل و الإعراب، وتارة يثني عليهم على ما قدموه من تناولهم الرائع لمسألة الزمن.

–لا يمكن الحديث عن الزمن النحوي إلا بالتطرق لمفهوم الجهة، الذي يمكننا من قياس الزمن بدقة، إذ به –في نظر المحدثين– يقسم الماضي إلى تسع جهات و الحال إلى ثلاثة و المستقبل إلى أربعة.

– ربْط النحاة القدامى كل صيغة بزمن معين كان على أساس التغليب، إذ جعلوا صيغة (فعل) للماضي، و (يفعل) للحال أو الاستقبال، و(افعل) للاستقبال.

– يمكن أن تستغرق الصيغة الفعلية جميع الأزمنة، فصيغة (فعل) يمكن أن تخرج عن دلالتها الأصلية لتدل على الحال أو الاستقبال وحتى الزمن العام، بالإضافة لذلك يمكن أن لا تعبر عن الزمن نهائيا، وهذا عندما تأتي للتعبير عن صفة أو لقب، ولا يكون لها هذا

إلا إذا وردت في سياق قرآني خاص، وكذلك الحال مع الصيغتين الأخريتين (يفعل و افعل).

– إن زمن الفعل لا تحدده الصيغة مفردة خارج السياق، بل يتحدد زمنه من خلال الوحدات اللغوية التي تأتي قبله أو بعده؛ كالنواسخ و الأدوات، إذ تلعب دورا كبيرا في تحديد زمنه وجهته، فعلى سبيل المثال نجد القرينة اللفظية (اليوم) التي رأينا أنها تدل في القرآن الكريم غالبا على يوم القيامة، فتصرف الفعل بعدها وإن كان ماضيا إلى المستقبل البعيد.

– إنّ المتأمل في النماذج القرآنية التي أوردها البحث يجد أن الأسلوب القرآني المعجز قد فرض على النحاة و المفسرين التدبر المعمق في السياق القرآني الذي ترد فيه الصيغة الفعلية، ليتم تحديد الزمن الخاص بها، بالإضافة إلى ذلك مراعاة أمور أخرى مثل: سبب نزول الآية التي ورد فيها الفعل وكذلك القرائن اللفظية و المقامية المصاحبة لها.

ومنه، نخلص إلى أن ما قام به النحاة و المفسرون القدامى من وقفات في مسألة الزمن لا يمكن إنكارها؛ لأنها سهلت للعديد من المتعلمين مسائل كثيرة في النحو، وأن ما وصف به بعض الباحثين المحدثين النحاة القدامى بألفاظ من مثل: التعسف، الغرور...الخ، لم تكن من قبيل الموضوعية في إصدار الحكم عليهم، لأن صنيعهم لا يمكن أن يستهان به.

إن هذه النتائج المتوصل إليها تعد منطلقا لمزيد من التعمق في مسألة الزمن، لأنه لا يشمل الصيغ الفعلية فقط، بل يتعداه إلى الأسماء كذلك من مثل: اسم الفاعل واسم المفعول و الصفة المشبّهة و المصادر وأسماء التفضيل، لكن الزمن فيها فرعي لا أصلي، فالباب مفتوح لمن أراد التعمق في دراسة الزمن في القرآن الكريم، والله المعين على ذلك.

قائمة المصادر و المراجـــــع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1-إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978م.

2-إبراهيم السامُرَائِي، الفعل زَمَانُهُ و أبينتُهُ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

3-الأزهري، (خالد بن عبد الله)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000 م.

4-الإستراباذي (رضي الدين محمد بن حسن الإستراباذي)، شرح كافية ابن الحاجب، قدم له إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

5-الإستراباذي (رضي الدين محمد بن حسن الإستراباذي)، شرح الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996 م.

6-الأشموني(علي محمد بن عيسى نور الدين الأشموني)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، حاشية الصبان، تح: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوفيقية، (د ط) (د ت).

7-ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري)، أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ/ 1997 م.

8-ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، تح: جودة مبروك ومحمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.

9-بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، دار الفجر القاهرة، مصر، ط2، 1999.

10- تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000م.

11- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1994 م.

12- الجزولي (عيسى بن عبد العزيز) ، المقدمة الجزولية في النحو، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، أم القرى للنشر و التوزيع والطبع، السعودية، ط1، 1408 هـ/ 1988م

13- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مكتبة القاهرة، مصر، (د ط)، 1978م.

14- حسام الآلوسي: الزمان في الفكر الديني و الفلسفي وفلسفة العلم، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

15- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط: تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/ 1413 هـ/ 1993 م.

16- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1419 هـ/ 1998 م.

17- الخطيب القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق و تنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط3، 1413هـ/1993م.

18- الخليل بن أحمد (الخليل بن أحمد الفرهيدي)، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 م.

19- الرازي (محمد الرازي فخر الدين)، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط1، 1401 هـ/ 1980 م.

20- الرماني (أبو الحسن علي عيسى الروماني)، معاني الحروف، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1401 هـ / 1981 م.

21- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 1، 1974 م.

22- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي)، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404 هـ/ 1984م.

23- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت).

24- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418 هـ/1998م.

25- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)، المفصل في علم اللغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، (د ت).

26- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين القبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417 هـ/ 1996 م.

27- سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح: محمد عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988 م.

28- السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

29- السيوطي (جلال الدين بن بكر السيوطي)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفصل إبراهيم، إصدارات وزارة الشؤون الدينية و الأوقات والدعوة والإرشاد، السعودية، (د ط)، (د ت).

30- السيوطي (جلال الدين بن بكر السيوطي)، الأشباه و النظائر، تح: عبد العال سالم مكرم، مجمع اللغة العربية مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية، (د ط)، 1985 م.

31- السيوطي (جلال الدين بن بكر السيوطي)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 م.

32- الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر،تونس،(د ط) 1984م.

33- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، (د ت).

34- عبد الجبار توامه، زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1994.

35- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1400 هـ/ 1980 م.

36- عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي- نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة-، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990 م.

37- عبد القاهر الجرجاني، (أبو بكر عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان)، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريه ط1، 2007م.

38- عبد القاهر الجرجاني، (أبو بكر عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان)، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة، العراق، (د ط)، 1982 م.

39- عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (د ت).

40- عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2006م.

41- أبو عبيدة التميمي (معمر بن المثنى التميمي)، مجاز القرآن، عارض بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد شركبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

42- ابن عصفور (على بن مؤمن)، المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط1، 1392 هـ/ 1972 م.

43- علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية و دار الثقافة، عمان، الأردن، ط1/ 2002 م.

44- أبو علي الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار)، الإيضاح العضدي، تح: حسن شاذلي فرهورة، كلية الآداب، جامعة الرياض، السعودية، ط1، 1389 هـ/ 1469 م.

45- ابن فارس (أبي الحسين أحمد ابن فارس)، الصاحبي في فقه اللغة، تح: عمر الفاروق الطّباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه-1993م.

46- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة و النشرو التوزيع، الأردن، ط1، 1420 هـ/ 2000 م.

47- الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، (د ط)، (د ت).

48- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.

49- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1427 هـ/ 2006 م.

50- كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، (د ط)، 1428 هـ/2008م.

51- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي)، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المحتون، دار الهجر للطباعة و النشر، الجيزة، مصر، ط1، 1990م.

52- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي)، شواهد التوضيح والتصحيح، تح: طه محسن، مكتبة ابن قتيبة، بغداد، العراق، ط1، 1405 هـ.

53- مالك يوسف المطلبي، الزمن واللغة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط). 1986م

54- المبرد (أبو العباس محمد)، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1412 هـ/1996م.

55- : المبرد (أبو العباس محمد)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، (د ط) 1415ه-1994م.

56- محمد أحمد خيضر، الأدوات النحوية و دلالتها في القرآن الكريم، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهر، مصر، (د ط)، 2001م.

57- محمد عبد الرحمن الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998 م.

58- محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424ه/2003م،

59- محمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2009م.

60- المرادي (الحسن بن قاسم المرادي)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ/1992م.

61- المقالي (أحمد عبد النور المقالي)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية، ط2، 1423 هـ/ 2002 م.

62- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت للطباعة و النشر، بيروت لبنان، (د ط)، 1966 هـ.

63- مهدي المخزومي: النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986 هـ.

64- ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1383 هـ/ 1963 م.

65- ابن يعيش (موفق الدين بن علي بن يعيش)، شرح المفصل، تح: حواشي نفيسة، إدارة طباعة المنيرية، مصر، (د ط)، (د ت).

الرسائل و المذكرات:

66- محمد إبراهيم يوسف شيبة، النحو الكوفي في شرح القصائد السبع الجاهلية لأبي بكر بن الأنباري، رسالة ماجستير في النحو والصرف، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1408 هـ/ 1988م.

المقالات:

67- البشير جلول،" التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية "، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع6، 2014م.

68- محمد رجب محمد الوزير،" الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، م1، ع 02، 1988م.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة..... أ – ج

الفصل الأول: التصور الزمني في نظر النحاة القدامى و الباحثين المحدثين..... 5 – 31

أولا: الزمن و الزمان..... 7 – 10

1–لغة..... 7

2–اصطلاحا..... 8 – 10

ثانيا: الزمن في نظر النحاة القدامى..... 11 – 17

ثالثا: الزمن في نظر الباحثين المحدثين..... 18 – 31

الفصل الثاني: الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية الإفرادية..... 33 – 77

أولا: التعبير عن الزمن بصيغة الفعل الماضي..... 35 – 53

1–دلالة (فعل) و ما يماثلها على الزمن الماضي..... 53 – 43

2–دلالة (فعل) و ما يماثلها على الزمن الحال..... 43 – 46

3–دلالة (فعل) و ما يماثلها على الزمن المستقبل..... 47 – 51

4–دلالة (فعل) و ما يماثلها على الزمن العام ..... 51 – 54

ثانيا: التعبير عن الزمن بصيغة الفعل المضارع..... .54 – 64

1–دلالة صيغة (يفعل) و ما يماثلها على الزمن الحال..... 55 – 57

2–دلالة صيغة (يفعل) و ما يماثلها على الزمن المستقبل..... 57 – 60

3-دلالة صيغة(يفعل) و ما يماثلها على الزمن الماضي..... 60 - 63

4-دلالة صيغة (يفعل) و ما يماثلها على الزمن العام.....63 - 65

ثالثا: التعبير عن الزمن بصيغة فعل الأمر.....65 - 77

1-الدلالة على الزمن المستقبل.....69 - 70

2-الدلالة على الزمن الحال.....70

3-الدلالة على وقوع الحدث في الماضي.....70 - 71

4-الدلالة على الزمن المطلق.....71- 72

5-الدلالة على الاستمرار..... 72 - 74

الفصل الثالث: الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المركبة..... 79 - 124

أولا: الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ..... 79 - 98

1-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (كان فعل).....84 – 86

2-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (كان يفعل).....86 - 87

3-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (أصبح يفعل).....87 - 88

4-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (ظل يفعل).....88 - 89

5-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (ما زال يفعل)..... 90- 92

6-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (كاد يفعل)..... 92- 96

7-الدلالة الزمنية للصيغة المركبة (عسى أن يفعل)..... 96- 99

ثانيا: الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع الأدوات.....100 - 122

1-أدوات الاستفهام.....100 - 106

2-أدوات الشرط.....106 - 110

3-أدوات النفي.....110 - 115

4-بعض الأدوات الأخرى..... .115 - 124

الخاتمة.....126- 127

قائمة المصادر و المراجع..... 129 - 135

فهرس المحتويات.....137 - 139

الملخص

حاولنا من خلال هذا البحث الموسوم بـــــــ " الزمن في القرآن الكريم بين الصيغة الصرفية والسياق النحوي من خلال نماذج قرآنية " أن نبرز الدلالة الزمنية للصيغة الفعلية داخل وخارج السياق، استنادا إلى خطة بحث متكونة من ثلاثة فصول تتقدمها مقدمة و تتلوها خاتمة، إذ تطرق الفصل الأول إلى نظرة كل من النحاة القدامى والباحثين المحدثين، من ثم عقد الفصل الثاني للدلالة الزمنية للصيغ الفعلية الإفرادية، في حين جاء الفصل الثالث للحديث عن الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المركبة مع الأدوات والنواسخ.

وقد اعتمدت الدراسة على وضع الصيغة الفعلية داخل السياق القرآني الذي أفصح عن دلالات زمنية عديدة تنم عن إعجاز الأسلوب القرآني وقدرة الخالق سبحان وتعالى.

Abstract

This research ‘‘Time in the Quran Between the Morphological Formula and Contextual Grammar’’ aims to highlight the temporal signs of verbal formula within and outside the context. For this purpose, we have divided our dissertation into three chapters started with an introduction and ended with a conclusion; for instance, the first chapter talked about the ancient grammarians and modern researchers’ views concerning our topic, then, the second chapter dealt with discussing the topic of temporal signs of single verbal formats, while the third chapter talked about temporal signs of compound verbal formats, tools and auxiliaries. Moreover, this study based on the setting of the verbal formula within the Quranic context, this latter indicates the Quranic miracles in terms of style, as well as the God’s power.